الدَّرسُ التَّفسِيريُّ التّربَويُّ في غَيرِ كُتُب اِلتَّفسِيرِ
عِندَ عُلمَاءِ الجَزائرِ ومَجَالَاتُ استِثمَارِهِ

–كتابُ (المسجد وبيت المسلم) للشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ أنموذجًا –

ورقة بحثية مقدّمة للمشاركة في الملتقى الوطني الموسوم بـ

(الدراسات القرآنية في العصر الحديث)

(الواقع والآفاق)

المنعقد يوم: 06/ 12/ 2022م.

بكلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية

جامعة الحاج لخضر– باتنة1

إعداد الدكتور مراد خنيش

أستاذ التّفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسّنّة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة – قسنطينة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى الله على نبيّنَا مُحَمَّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجمعِينَ...

أمّا بعد:

لقد اهتمَّ علماءُ الأُمّة بالقُرآنِ الكَرِيمِ اهتِمَامًا بَالِغًا عَلى مَرِّ العُصُور، واختلافِ الأمصَارِ، وتَباعُدِ الأَقطَارِ، واستَمَرَّ ذلكَ إلى العَصرِ الحَديثِ، فَبَرَزَت العِنايةُ بُرُوزًا لا يَدَعُ شَكًّا في أَنَّ الأُمَّة تَسعَى في تحقيق سَعادتها وطُمأنينتها، وتَبحَثُ عمَّا يدفعُ مُشكلاتِهَا ويَرفعُ الإحَنَ عنها.

وقد ظهرت اتجاهاتٌ تفسيريّةٌ عدّةٌ، حاولَت أن تُلامِسَ الواقعَ الاجتماعيَّ تارة، وتُعايشَ مُعطيَات العصر تارة، وتُواكبَ التّطوّرَ الحضَاريَّ الواقعَ تارة أخرى، وتُحيِي مَا اندَرَسَ مِن دِينِ النّاسِ تَاراتٍ، وتَعملُ على غَرسِ الوعيِ، والنُّهُوض بالأمّة في ضوء القرآن الكريم ومَا يُقدّمُهُ من عِلاجاتٍ لمشكلاتٍ ووقائعَ مُستجدَّاتٍ.

هذا الواقعُ المعيشُ، وهذه الحالُ المعرفيّةُ، وتلكَ الصُّورةُ الحيَاتيّةُ المقلِقَةُ دَفَعَت بالعُلماء نَحو مَزيدٍ مِن العنايةِ بالمجتمعاتِ وإشغالها بالقُرآن الكريم حتّى كَثُرَت جُهودُهُم كثرةً بالغةً، لا تُحصَى ولا تُستقصَى.

وكانَ مِن نتاجِ ذلكَ ظُهُورُ اهتمامٍ آخرَ للعُلماءِ في تفسيرِ القُرآن في كُلِّ مُناسبةٍ، وفي كِتابَاتٍ أُخرى لها خُصُوصِيَاتُها ومقَاصدُها، تختلِفُ عن التّفاسِير المعهُودة طَبيعةً ومَنهَجًا ومَقصِدًا.

وكان مِن كبارِ هُؤلاء العُلماء جمهرة مِن أَهل الجزائر، واشتَهرَ منهم في مَراحِلَ ولا يَزَالُ الشَّيخُ المفسّرُ أبو بكر جابرٌ الجزائريُّ رحمه الله، فمعَ شُهرتِهِ بتفسِيرِهِ: (أيسر التّفاسير) فقد وضَعَ كُتُبًا أُخرى اشتَمَلَت على مادَّةٍ تَفسيريّةٍ خصيبةٍ، كانت مَقصُودةً مَنهَجًا وهَدَفًا، وكان من تِلكَ الكُتُب كتابه: (المسجدُ وبيتُ المسلمِ)، وهو كتابٌ جديرٌ بدراسةِ مَادَّتِهِ التّفسيريّةِ والكشفِ عن أغراضِ الشَّيخ الجزائريّ فيهَا، مَع تَلَمُّس ما يُميّزُ هذه المادَّة عن مادّة التّفسِيرِ في (أَيسرِ التّفاسيرِ).

ورَأيتُ بعدَ تَفكيرٍ وفحصٍ لمادّة البحث أن أجمَعَ أفكارهُ تحتَ عُنوان:

الدّرسُ التّفسِيريُّ التّربَويُّ في غيرِ كُتُبِ التّفسِيرِ عندَ عُلماءِ الجَزائرِ ومَجَالاتُ استِثمَارِهِ
- كتابُ (المَسجد وبيت المسلم) للشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ أُنموذجًا -

والموضُوعُ بهذا العُنوانِ تندرجُ أَفكارِهِ ضِمنَ المحورِ الثّاني (مُقاربات تشخيصيّة)، وتلامسُ الوَاقعِينِ المنهَجيّ والمضَامِينيّ للدّراسَات القُرآنيّة في العصر الحديث، كما ترتبطُ بأهدافِ الملتقى خَاصَّةً مَا يَتعَلَّقُ منهَا بتشخِيصِ وَاقعِ الدّراسات القُرآنية في العصر الحديثِ.

ثمّ إنّني اخترتُ أن أعنونَ لبحثي هذا بـ (الدّرس التّفسِيريّ التّربويّ ...) لِمُبرّرٍ رأيتُهُ، وها أنا أشرحُهُ:

أمّا اختيارُ التّعبِيرِ بـ "الدّرس" فلِأنَّ الشّيخ الجزائريّ هو الذي عبّرَ عن تلك المادّة التّفسيريّة وسمّاها (دُرُوسًا)، فهو يقولُ: " الدّرسُ الأوّل: قولُ الله تعالى: ...، الدّرسُ العاشرُ: قولُ الله تعالى: ..." وهكذا...

وأمّا وصفهُ بـ" التّربَويُّ" فَنَظرًا لما يُورِدُهُ الشّيخُ الجزائريّ – دائمًا – في العُنصر الثّاني من عُنصُرَي دَرسِهِ، والذي يُسمِيّهِ: " إرشاداتٌ للمُرَبِّي".

❖ **أسبابُ اختيار البحث ومُسوّغَاتُهُ** : وإلى جانب ما سبق فثَمَّ أسبابٌ أثّرت في الاختيار وسَوَّغَت الاشتغال

بالموضوع، أهمّها:

1– كون الموضوع متعلّقًا بشخصيّةٍ علميّةٍ تفسيريّةٍ خَصِيبَةِ الثّقافةِ، مُتَعدِّدةِ الاهتمامات، كثيرةِ الكتابةِ في التّفسيرِ والفقهِ والاعتقادِ والوعظِ والأخلاقِ والتّزكيّةِ والسّيرةِ وغيرها، متّصلةٍ في ذلكَ كلّهِ بمعطيَاتِ العصرِ الحديثِ عِلمًا وتَعليمًا، دَعوَةً وإصلَاحًا وتَحدّياتٍ، مَدَارسَ ومَنَاهجَ واتّجاهاتٍ.

2– أنّ كتابَ (المسجد وبيت المسلم) وَاحدٌ مِن التّآليف الموضوعةِ في إصلاحِ المجتمعاتِ وتَنشئتِهَا تَربَويًّا، ومع ذلكَ بَقِيَ الكتابُ مغمُورًا، وكانَت الاستفادةُ العَمَليّةُ منهُ ضَئِيلةً، بالرّغمِ مِن تَميُّزِ الشّيخِ في فكرةِ كتابِهِ ومَادَّتِهِ التّفسِيريّةِ والحَديثيَّةِ، وطَريقَتِهِ ومَقصِدهُ فيه.

❖ **إشكاليّة البحث وتساؤلاتُهُ:** ثمّ إنَّ تلك العمليّة البَحثيّة لا بُدَّ أن تَتَأسَّسَ على تَسَاؤُلٍ مِحوريٍّ عن طبيعةِ الدّرسِ التّفسيريّ في كتاب (المسجد وبيت المسلم)، ومنهج المؤلّف في عرضها، وقيمته في مجال الإصلاح والعمل التّربويّ.

وتتعلّقُ بهذا التّساؤل أسئلة فرعيّةٌ، يجتمعُ أغلبُهَا فيمَا يلي:

- ما هو عددُ الدُّرُوسِ التّفسيريّة التي تَضمَّنَها الكتابُ؟
- لماذَا وُزّعَت عَلى أيّام السَّنَة؟
- مَاهي مُميزاتها؟ وما مدَى ارتباطِهَا بالدّرس التّفسيريّ في تفسيرِهِ المشهُورِ: (أيسر التّفاسير)؟
- كيفَ يُمكِنُ استثمَارُ فكرَةِ الكتَاب ومادّته منهجًا ومضمونًا في المجالاتِ التّربويّةِ والإصلاحيَّةِ اليومَ؟

❖ **أهدافُ البحث:** من أجل ما سبق وغيره هَدَفت الوَرقةُ إلى التّعريفِ بطبيعَةِ المادّة التّفسيريّة التي تَضمَّنَها كتابُ (المسجد وبيت المسلم)، وتَوصيفِهَا وتَحليلِهَا وشرحِ منهجِ الجزائريّ في عرضِهَا، مع محاولةِ إبرازِ تميّزها عن مُعطَيَاتِ التّفسِيرِ المؤلَّف.

وفي ضوء ذلكم التّعريفِ يمكنُ تقديمُ مُقترحَاتٍ في طريقِ استثمَارِ فكرةِ الكتابِ ومضَامِينِهِ وهَيكَلَتِهِ في حَاضِرنَا اليَوم الذي لم يُشْفَ بعدُ مِن الأَمراضِ والمشكِلات التّربويّةِ التي عرضَت لِلأمَّة الإسلاميّة قبل نحو نصف قرنٍ مِن الزّمان ولا تزالُ.

❖ **خُطّة البحث:** هذا وقد اتّسقَت أفكارُ البحث وتَوَزَّعَت مادَّتُهُ بعد المقدّمة على ثلاثةِ مَبَاحث، يتقدّمُهَا مبحثٌ تمهيديٌّ.

فاشتَمَلَت المقدّمةُ على التّعريف بالموضوع وإشكاليته وأهدافه والدّراسات السابقة فيه وخطّته وأهمّ مصادرهِ ومراجعه.

أمّا المبحثُ التّمهيديُّ فقد عني بتعريفٍ مُوجَزٍ بالشّيخ أبي بكرٍ الجزائريّ وتذكيرٍ بالجُهُودِ الجزائريَّة الحديثَةِ عُمُومًا، وتِبيَانِ المقصُودِ بالتّفسِيرِ التّربويّ في البَحثِ.

وأمّا المبحثُ الأوَّلُ فقد عَمِلَ على التّعريفِ العَامّ بكتَابِ (المسجد وبيت المسلم) لأبي بكرٍ جابرٍ الجزائريّ، وأسباب تأليفه وتِبيانِ مقصده فيه.

وأمّا المبحثُ الثّاني فقد عَرَّفَ بالدُّرُوسُ في الكِتَاب ومنهجِ عرضها، واستظهارِ الجانبِ التّربويّ فيها.

وأمّا المبحث الثالث فقد حَاولَ التّعريف بأهمّ مجالاتِ الاستثمارِ الممكنة لمادَّةِ الكتابِ وفِكرتِهِ، في شكلِ مقترحاتٍ

ممكنة التّجسيد.

❖ **الدّراسات السّابقة:** لقد بحثتُ في هذا الموضوع، وحاولتُ الوقوف على أعمالٍ سابقة متّصلة بدرس التّفسير في كتاب أبي بكر الجزائريّ، فلم أقفْ على ما يَصرِفُ عن دراسته – والله اعلم- ، ولعلّ السّبب في ذلك كون هذا الكتاب مغمورًا – نسبيًّا – غير مشهور في السّاحة البحثيّة.

❖ **أهمّ مصادر البحث ومراجعه:** كان المصدرُ الرّئيسُ الذي تأسّسَ البحثُ عليه وانطلقَ منه هو كتاب (المسجد وبيت المسلم) للشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ، وذلك من خلال قراءة فاحصة، وتَتَبُّعٍ لِقَضَايا دُرُوسِ التّفسير وشرح الحديث النّبويّ.

كما استعان البحثُ ببعض المصادر والمراجع الأخرى إيضاحًا لبعض مسائله، وإثراءً لجوانب منه.

وهذا أوان الشُّرُوع في المقصود، وهو فيما يلي:

تمهيد: تعريفٌ مُوجَزٌ بالشّيخِ أبي بكرٍ الجزائريِّ وتذكيرٌ بالجُهُودِ الجزائريَّة الحديثةِ عُمُومًا، وتِبيَانُ المقصُودِ بالتفسيرِ التربويِّ في البَحثِ:

وسأتناولُ ذلك كلّه عبر المطالب الآتية:

المطلب الأولّ: تعريفٌ مُوجَزٌ بالشّيخِ أبي بكرٍ الجزائريِّ: في هذا المطلب سأكتفي بذكر بعض الأخبار والمعلومات حول شخصيّة الشيّخ أبي بكر جابر الجزائريّ وذلك في نقاطٍ.

❖ المترجَمُ لهُ هو جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، وقد غَلَبَت عليهِ كنيتُهُ.

❖ وُلِدَ سنة (1340 هـ/ 1921م) بقرية لِيوَة، إحدى القرى التي تبعدُ نحو أربعين كيلُو مِترًا مِن بسكرة جنوبًا[1].

❖ نَشَأَ في أُسرَتِهِ، وبعدَ وفاةِ أبيهِ كفلَهُ أعمامُهُ وأخوالُهُ، وأبواهُ مِن الأُسَرِ المشهُورَةِ بالصّلاح، وحِفظِ القرآنِ وتَعلِيمِهِ[2].

❖ بَدأَ المترجَمُ لَهُ بحفظِ القرآن الكريم، ثمّ أضافَ إليه حفظَ الآجروميّة في النّحو، ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكيّ[3].

❖ رحَلَ إلى مدينة بسكرة فَدَرَسَ على الشّيخ نعيم النّعيميّ أحد مشهُوريهَا وَقتئذٍ، ثمّ عَادَ إلى منطقة لِيوَة بعدَ قُدُومِ الشّيخِ عيسَى مَعتُوقي إليهَا، فَدَرَسَ عليه العربيَّةَ والمنطقَ ومُصطلَحَ الحديث وأُصُولَ الفقه.

❖ انتقلَ إلى الجزائر العاصمة فَجمَعَ بين مُواصلةِ الدِّراسةِ والتّدريسِ، فَعَمِلَ مُدَرِّسًا في بعض المدَارسِ الأَهليّةِ، وَلَزِمَ دُرُوسَ شَيخِهِ الطّيّب العُقبيّ في التّفسير سَنَوَاتٍ[4]، وبعد ذلكَ هَاجَرَ الشَّيخُ إلى الحِجَاز، فَاستَأنَفَ هُناكَ مَسيرَتَهُ في طَلَبِ العِلم والتّعليم جَميعًا[5].

---

[1]- تنظر ترجمته وشيء من سيرته وأطواره وأعماله ونشاطه العلمي والدعويّ وتآليفه إلى وفاته في المصادر والمراجع والكتابات الآتية:علماء ومفكّرون عرفتهم، للمجذوب، 27/1، ومعلّمُو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخرين، ص 163، والتّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، لمحمد بن رزق بن طرهوني، 785/2.

[2]- علماء ومفكّرُون عرفتُهم، للمجذوب، 27/1، والتّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، لمحمد بن رزق بن طرهوني، 2/ 785،

[3]- ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب، 1/ 27، ومعلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخرين، ص 163. والتّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، لمحمد بن رزق بن طرهوني، 2/ 785،

[4]- علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب، 28/1، ومعلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخرين، ص 163.

[5]- ينظر: علماء ومفكّرون عرفتُهم، للمجذوب، 1/ 28،

❖ لَزِمَ في المدينَةِ المنوّرةِ حَلقاتِ المشايخ، وسَجَّلَ في أثناء ذلك في كُلّيّة الشّريعة بالرّياض، ونَالَ شهَادَتَهَا العَالية (اللّيسانس) سنة (1381 هـ)[1].

❖ حَصَلَ بعدَ ذلك عَلى إجازةٍ مِن رِئاسةِ القَضاء بمكّة المكرَّمة للتَّدريسِ والوَعظِ والإرشادِ بالمسجِدِ النّبَويّ، وبَقِيَ يُدَرِّسُ تفسيرَ القُرآن حتَّى خَتمَهُ نحو خمس مرّات، إلى أن تَوفَّاهُ الله تعالى[2].

❖ **أمّا مؤلّفاتهُ** فهي كثيرة، مختلفة مواضيعها ومجلاتها، أذكر منها[3]:

1– أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير وبهامشه نهر الخير.

2– منهاج المسلم.

3– هذا الحبيب... يامحبّ.

4– نداءات الرّحمن لأهل الإيمان.

5– المسجد وبيت المسلم.

6– العلم والعلماء.

❖ توفّي الشّيخُ رحمه الله في المدينة المنوّرة قُبيل فجر الأربعاء 4 ذو الحجّة 1439 هـ الموافق 15 أوت 2018، عن عُمُرٍ ناهز 97 عامًا، وصُلّيَ عليه بعد ظُهرِ يومِ وفاتِهِ في المسجد النّبويّ الشّريف، ودُفِنَ في مقبرة البقيع[4].

المطلب الثاني: تذكيرٌ بالجُهُودِ الجزائريَّة الحديثةِ عُمُومًا: يَشهَدُ تاريخُ الحركاتِ العِلميّةِ والفهارسُ وكُتُبُ التّاريخ والتّراجم أنّ حركةَ التّفسير في الجزائر كانت مُزدهرَةً – على تَفَاوُتٍ بينَ جِهَاتِهَا وأَعصَارِهَا–

وقَد شَهِدَ العصرُ الحديثُ هُوَ الآخرُ ازدهَارَ الحركةِ التّفسيريّةِ في الجزائر، فكانَتِ الكتابةُ في التّفسير، أو الاشتغالُ به تَدريسًا مهمّةً يضطلعُ لها العُلماءُ، ويقومُ عليها العُقلاءُ، فَأنتجُوا كُتُبًا كثيرَةً، وتَركُوا مِيراثًا عظيمًا، اجتمعَ في تلكَ التّفاسيرِ المطبوعةِ، أو الأقوالِ المحفُوظةِ المجمُوعةِ، وبَقِيَ البَحثُ في دُرُوس التّفسِير الشّفويّ أو في المادّة التّفسِيريّة في غيرِ ما يُعرَفُ بالتّفاسِير، أو كُتُبِ التّفسِيرِ.

هذا وإنّ قراءة في (تاريخ الجزائر الثّقافيّ) للأستاذ الكبير والمؤرّخ الشّهير الدكتور أبو القاسم سعد الله تشهدُ لصدق ذلك التّصوير الآنف، وتدلُّ على الجهود والإسهامات الجزائريّة المتنوّعة في العصر الحديث وغيره[5].

وإلى جانب هذا الكتاب الحافل نجدُ كتابات أخرى، كـ(معجم أعلام الجزائر) لعادل نويهض، فقد تحمّل أصحابها

---

[1]– ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب، 1/ 28، ومعلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخرين، ص 163، والتّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، لمحمد بن رزق بن طرهوني، 2/ 785– 786.

[2]– ينظر: علماء ومفكّرُون عرفتُهم، للمجذوب، 1/ 29، ومعلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخرين، ص 163، ومذكّرة في ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائريّ، إعداد مركز سلف للبحوث والدّراسات، ص 07.

[3]– ينظر نشاطُهُ في التّأليف والدّعوة في: علماء ومفكّرُون، للمجذوب، ص 1/ 33– 36. وينظر: معلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، د.عمر بن حسن فلاتة، وآخران، ص 163.

[4]– مذكّرة في ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائريّ، إعداد مركز سلف للبحوث والدّراسات، ص 10.

[5]– ينظر في ذلك: تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، 1/ 120– 132، وينظر: التّفسير والمفسّرون في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرّابع الرّابع عشر الهجريّ، للدّكتور عبد الكريم بوغزالة، بحثٌ منشورٌ في مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية– أدرار، مجلد 14، عدد 01 (2015) ص 32.

مهمّة التّعريف بأعلامٍ جزائريّين كثيرين، وهي كافٍ لتصوّر جوانب كثيرة من أعمال علماء الجزائر وإسهاماتهم في تفسير القرآن وأفنانه[1].

وكانَ مِن ذلكَ مَا لاحظتُهُ في كِتَابٍ من كُتُبِ عَلَمٍ من أعلام الجزائر في العصر الحديث وهو كتابُ (المسجد وبيت المسلم) للشّيخ العالم أبي بكر جابر الجزائريّ، وهو بحاجةٍ إلى دراسةٍ وتعريفٍ وتوصيفٍ.

المطلب الثالث: تِبيَانُ المقصُودِ بالتفسيرِ التربويِّ في البَحثِ: المقصودُ بالتّفسير التّربويّ عند إطلاقه في دراسات الباحثين ذلكم التّفسيرُ الذي يتّجِهُ صَاحِبُهُ فيه نحو الجوانب المتّصلة بالتّربية الشّرعيّة بمفهومِهَا الوَاسِع[2].

وقد يُسمَّى عند آخرين بـ: التّفسير الهدائيّ، لأنّه يَهدفُ إلى هدايةِ النّاسِ، ويَعمَلُ على تَربِيَتِهِم على الهُدَى القُرآنيّ.

فيكونُ التّفسيرُ الهدائيُّ بهذا المعنَى أعمَّ وأشملَ هَدَفًا، ويكونُ مُلاصِقًا للتّفسيرِ الإصلاحيّ، وإن كَانَ هذا الأخيرُ أشملَهَا على الإطلَاقِ، وأوسعَهَا مِن حيثُ المدلُولِ.

وإلى جانبِ هذا يمكِنُ تسميةُ هذا التّفسيرِ بالتّفسيرِ الإصلاحيّ، وهُو وإن سُمّيَ تَفسيرًا تَربَوِيًّا فَإنّ الغَرَضَ الأَسمَى منه أن يَكُونَ ضِمنَ حَلقاتِ الإصلاحِ وأَعمَالِ المصلِحِينَ، وتَدُلُّ لهذا المفهُومِ عباراتٌ للشّيخِ الجزائريّ في مُقدّمةِ كِتابِهِ وي خَاتمتِهِ.

ففي سياق توصيفِ الشّيخ الجزائريّ حال المسلمين وتَسلُّط الأعداء عليهم يُصَرّحُ بما يُفِيدُ اندِرَاجَ عَمَلِهِ في كِتابِهِ ضِمنَ مَنظُومةِ الإصلاحِ وَأَعمَالِ المصلِحِينَ، فَهُو يَقُولُ:".....وَمَا تَحَرَّرَ المسلِمُون مِن سُلطانِ الكُفَّارِ إلاّ بعدَ أن عَادَ بعضُ المسلِمِينَ إلى الكِتابِ والسُّنّةِ يَدرُسُونَهَا وَيُدرّسُونَهُمَا، فَأَخَذَ الوَعيُ يَنتشِرُ والعَودةُ تَخطُو خَطوَاتٍ، وَرَحمَ اللهُ أعلامَ تلكَ النّهضَة ...

ومِن هُنَا وَقد أَقبَلَ أكثرُ المسلِمينَ على الكتابِ والسُّنّة بِفضلِ اللهِ ثمّ بِدعوَةِ **الدُّعَاةِ المصلِحينَ المنتَشِرِينَ** في العَالَمِ الإسلاميّ. رَأَيتُ أن أُقدّمَ عَونًا وإن كان ضَئِيلاً قَلِيلاً لأولئكَ الدُّعَاةِ المصلِحِينَ، فَكَتَبتُ هَذَا الكتابَ الحَاوِي لِثَلاثمائة ونيّفٍ وستّين آيةً وحديثًا صَحيحًا..." [3].

وفي خاتمة الكتاب – المسجد وبيت المسلم– يَجِدُ الدَّارسُ أيضًا مَا يُفِيدُ اندرَاجَ عَمَلِ الشّيخ الجزائريّ ضِمن العَمَلِ الإصلَاحيّ، وهو ما يُبَرّرُ – مَرّةً أُخرى – تَسميةَ تلك الدُّرُوس التّفسيريّة بالتّفسيرِ الإصلَاحيّ، فَهُو يقولُ: "... ولهذَا فَنَصيحتي لأئمّةِ المساجدِ الذينَ يُدَرّسُونَ هَذا الكِتَاب بعدَ صَلاة المغربِ مِن كُلّ يَومٍ أَن يَلتَزِمُوا بِهَذَا **العَمَلِ الإصلَاحيّ الجَليلِ**، وهُو تعليمُ أَهلِ قَريَتِهِم أو حَيّهِم في مَدِينَتِهِم يَومًا آيَةً ويَومًا حَدِيثًا"[4].

---

[1]– تنظر – على سبيل المثال– تراجم أعلام جزائريّين مفسّرين أو مشاركين في التفسير في : معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص 13، 19، 28، 32، 42، 47، 48، 50، 51، 90، 91، ، 112، 101، 243، 248، 306، 307، 308، 332، 341، 342، 367، وينظر كذلك : المفسرون الجزائريون عبر القرون، تأليف محمّد المختار اسكندر، من ص 28 إلى ص 186.

[2] – هذا من صياغتي بناءً على قراءاتي المختلفة، وتعاريف ومفاهيم ومقدمات مفيدة حول التّفسير التّربويّ في الفصل الثالث من بحث: ملامح التفسير التربويّ للقرآن الكريم، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسريّ، وتنظر للفائدة أفكار في مقدّمة كتاب: التفسير التربويّ للقرآن الكريم، لأنور الباز، من ص (أ) إلى ص (د).

[3]– مقدمة الكتاب، ص 08– 09.

[4]– مقدمة الكتاب، ص 08– 09.

المبحث الأول: التعريف العامّ بكتاب:(المسجد وبيت المسلم) لأبي بكر جابر الجزائريّ وأسباب تأليفه ومقصدهُ فيه:

المطلب الأوّل: التعريفُ العامُّ بكتاب:(المسجد وبيت المسلم): وهو تعريفٌ مختصَرٌ أُقدّمُهُ عبر العناصر الآتية:

الفرع الأوّل: اسم الكتاب: اشتهر الكتاب باسم: (المسجد وبيت المسلم)، وقد ذكرهُ بهذا الاسم المشهور مُؤلّفُهُ في خاتمةِ الكتاب[1]. وهكَذا رأيتُهُ في طبعاتِ الكتابِ المتوفّرة[2]، غير أنّه وَقَعَ في بعض الطّبعات زيادة: (المسجدُ وبيتُ المسلم أو: تَربيةُ الأسرةِ المسلمَةِ)[3].

ويبدُو أنَّ هذه الزّيادة بعد حرف (أو) مِن الجهة المشرفة على نشر الكتاب، وقد ذكرهُ أنَّ اسمه الصَّحِيح هو المذكور في غير هذه الطّبعة، ولأنّ الشّيخ الجزائريّ في بعض خُطَبِهِ المنبريّة وهُوَ يدعُو إلى التّمسُّك بالكتاب والسّنّة، قد ذَكَرَ كتابَهُ وحَثَّ على العَمَل بما فيه، فَسَمَّاهُ باسمِهِ المشهُورِ: (المسجد وبيت المسلم)، وذلك قولُهُ:" ... أَلا يَا عِبادَ الله فَلْنَعُدْ إلى دِراسَةِ كتابِ اللهِ وسُنّةِ رَسُولِهِ لِنَخرُجَ مِن فِتنةِ الشّرْكِ والجهلِ، والفِسقِ عَن طاعةِ الرّحمن. وأنَّ في كتابِ: (المسلم وبيت المسلم) لَكِفَايَة، فَلْنَجتَمِعْ عليهِ في مَسَاجِدِنا وَبُيُوتِنَا طِوَالَ العامِ منَ المغربِ إلى العِشاءِ فَإنّهُ سبيلُ العِلمِ وطريقُ الفوزِ بِرِضَا اللهِ ﷻ"[4].

الفرع الثّاني :تاريخُ تأليفِ الكِتابِ: أمّا عن بداية تأليف الكتاب فَلَمْ أجدْ ما يَدُلُّ على ذلكَ، وإنّما وَقَفتُ على تاريخِ الفَراغِ مِن الكتَابِ، وهُو ما نجِدُهُ مُثبتًا في خاتمة الكتاب، يقولُ الشّيخُ: "...وفي الرّوضةِ الشّريفةِ مِن مسجدِ الرّسُول ﷺ وفي صَبَاحِ يومِ السّبتِ التّاسعِ والعِشرينَ مِن جُمادى الآخرة مِن عام 1412 هـ قَد تمّت كتابةُ هذه الخاتمة لكتابِ (كتاب المسجد وبيت المسلم) والمطلوبُ ممَّن يَقرأُ هذَا الكتاب ويَدرُسُهُ أن يَدعُوَ لِمُؤَلّفِهِ بالمغفِرةِ والرّحمةِ والرّضوانِ عَمَلاً بقولِ الرّسُول ﷺ: (**مَن صَنَعَ إليكم مَعرُوفًا فَكَافِئُوهُ فإن لم تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ**)[5]..."[6].

وإلى جانبِ هذا يجدُ النّاظر في كتاب الشّيخ الجزائريّ تَأريخًا قَريبًا مِن هذا في خِتَامِ مُقدّمته، وهو فاتحُ رَجب عام 1412 هـ[7].

والحقُّ أنّ التّاريخَين مُتقارِبَين أو مُتَلَاصِقَين، وَظَاهِرٌ منهُمَا أنّ الكِتَابِ وخاتمتِهِ قَد فُرِغَ منهُمَا قَبلَ زَبر مُقدّمَتِهِ بنحوِ يومٍ أو يَومَين.

---

[1]- تنظر خاتمة كتابه (ص 371)، ولم يذكر اسم الكتاب في مقدّمته، بل اكتفى بقوله: "...فكتَبتُ هذا الكتاب الحاوي لثلاثمائة ونيّفٍ وستّين آيةً وحديثًا صحيحًا"، ص 09.

[2]- كما هو ثابتٌ في طبعة الكتاب الأخيرة الشّرعية لمكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنوّرة، وطبعة مكتبة لينة بدمنهور(1412 هـ 1992م))، وطبعات أُخرى.

[3]- وهي طبعة المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ، سنة 2004 م.

[4]- الخطب المنبرية ، للشيخ أبي بكر الجزائري، ص 112.

[5]- الحديثُ أخرجهُ أبو داود في سننه، كتاب الزّكاة، باب عطيّة من سأل بالله، عن عبد الله بن عمر ﷺ، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داوود، 5/ 363.

[6]- تنظر خاتمة كتابه، ص 372.

[7]- تنظر خاتمة كتابه، ص 372.

وبعدَ هَذا يُمكِنُني أن أَعُودَ إلى الحدِيثِ عن شُرُوعِ الشَّيخِ في كِتابةِ كتابِهِ، بالرّغمِ مِن أنّ تَاريخَهُ غير معرُوف، وذلكَ مِن أجلِ الإفادَةِ بأنّ تَاريخ الشُّرُوع فيه لا يكونُ بَعيدًا عَن تاريخِ الفراغِ منه – في غلبةِ ظنّي- لما هُو مُستفيضٌ عن الشّيخِ من كثرة التّأليف وتنوّع الإنتاج ، وليس ذلك لِسَبَبٍ – فيمَا يَظهَرُ – إلاّ لِبركةٍ في العَملِ والعُمُرِ والمكَانِ، مَع مَا تَوَفَّرَ لَهُ مِن الأسبَاب الأُخرَى، والله أعلم.

المطلب الثاني: أسباب تأليف الكتاب ومقصدُ الشّيخ أبي بكر الجزائريّ فيه: تجتمع أسباب تأليف الكتاب مع مقاصد الشّيخ اجتماعًا لا يُنكَرُ، ويُستنبَطُ كلاهما من عباراتٍ في مُقدّمة الكتاب وخاتمته، وتعضدها المعرفة العامّة بظُرُوف تلك المرحلة الزّمنيّة وأحوالها الدّينيّة والعلميّة.

وعليه فإنّهُ يمكنُ إجمال مقاصد الشّيخ في وضع الكتاب في مقصدين هما: إعانةُ أهلِ الإصلاح ومشاركتُهُم بوضع هذا الكتاب، ومُباشرة العمل على إصلاح البيت المسلم.

أمّا المقصد الأوّل فقد أفصح عنه في مقدّمة كتابه بعد وصف حال المسلمين وحرص أعدائهم على إبعادهم عن دينهم ثمّ الإشادة بجمهرة من أعلام النّهضة بالأمّة في نشر الوعي وإعادة المسلمين إلى الكتاب والسّنّة[1]، فهو يقولُ:"**رأيتُ أن أقدّم عونًا وإن كان ضئيلا قليلًا لأولئك الدّعاة المصلحين فَكَتبتُ هذا الكتاب الحاوي لثلاثمائة ونيّف وستين آيةً وحديثًا صحيحًا**، بحيثُ يجلسُ إمام المسجد أو ربّ الأسرة في بيته بعد صلاة المغرب يقرأ آية على المستمِعين ويُرَدِّدُها مُرتّلاً لها حتّى يحفظَهَا المستمِعُون ثُمَّ يقرأُ شَرحَهَا عليهم، ويُبَيّن لهم مَا قد يَخفَى فهمُهُ عليهم شيئًا فَشيئًا حتَّى يَفهمُوا مَعنى الآية ثُمَّ يُبَيّن لهم المطلوب مِن هذه الآية إن كانَ عقيدةً اعتقَدُوهَا، وإن كان حُكمًا عَرَفُوهُ، وإن كان عبادةً التَزَمُوهَا، وإن كان أَدَبًا تَأَدَّبُوا به، وإن كان خُلُقًا تخلَّقُوا بِهِ كذلكَ، وإن كان عبرَةً اعتَبَرُوا بهَا، وإن كان مَوعظَةً اتَّعَظُوا بها ، هذا يوم الآية، ويوم الحديث كذلكَ، وهكذا يومًا آيةً مِن كتاب الله تعالى، ويومًا حديثًا من سُنّةِ رسول الله ﷺ، وأهل المسجد أو البيت يتعلَّمُون الهُدَى ويَعمَلُون ويَكمُلُون في مَعَارِفِهم وآدَابِهِم وصَلاحِهِم ووَلَايَتهم حتّى يُصبِحُوا أَهلاً للكمَالِ والسَّعادة في الدَّارين وقطعًا سيكملُون ويَسعدُون بإذن الله تعالى، وتلك أُمنيتُهُ حقَّقَها اللهُ تعالى لهم آمين والحمدُ لله ربّ العالمين"[2].

وأما المقصد الثاني فيمكِنُ استنباطُهُ مِن وَصفِ حَال المسلمينَ السّيئةِ في مُقدّمة كتابه، لكن ثمّة ما يُبرزُهُ أكثر في غيرِ كتابِهِ، وهُو مقصدٌ عامّ يمكنُ أن ينضافَ إلى المقصدِ السّابق الذّكر، ذلك هو مقصِدُ إصلاحِ الأُسَر والمجتمَعَات الإسلاميّة وإعادتها إلى كتاب ربّها، بإعادتها إلى هُدى القرآن الكريم وسنّة رسولِهِ الأمين، ويُستنبَطُ هذا المقصدُ ممّا ألقاهُ في إحدى خُطبه المنبريّة:"... **فلنعُدْ إلى دراسة كتاب الله وسُنّة رسوله لِنَخرُجَ مِن فتنةِ الشّرك والجهل، والفسق عن طاعة الرّحمن. وأنّ في كتاب: (المسلم وبيت المسلم) لَكِفَاية، فَلْنَجتَمِع عليه في مَسَاجِدِنَا وبُيُوتِنَا طِوال العام من المغرب إلى العشاء فإنّهُ سبيلُ العلم وطريقُ الفَوز برِضَا الله ﷻ**"[3] .

وفي هذا السِّيَاق – والمناسبةُ سانحةٌ- لا بدّ من الإفادة بما يَلمَسُهُ الباحثُ في دواعي وأسباب تأليف كتاب (المسجد

[1]- المسجد وبيت المسلم، تأليف أبو بكر جابر الجزائري، ص 08- 09.

[2]- المصدر نفسه، ص 09.

[3]- الخطب المنبرية، لأبي بكر الجزائريّ، ص 112.

وبيت المسلم) وهو كونها قريبة ممّا عبّر عنه الشّيخُ الجزائريُّ عن أسباب ودواعي تأليفه: (أيسر التّفاسير)، وحاشيته (نهر الخير)، فلعلّ ذلك راجع إلى تقارُب زمَانَيْ تأليفهما، مع توالي أحداثٍ وهُمُومٍ في العالم الإسلاميّ كلّه أو جلّه.

يقول الشّيخ أبو بكر الجزائريّ في مقدّمة تفسيره (أيسر التّفاسير): "...فهذا تفسيرٌ مُوجَزٌ لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وَضعتُهُ مُرَاعيًا فيه حاجةَ المسلمين اليومَ إلى فهم كلام الله تعالى الذي هُو مصدرُ شريعتهم، وسبيلُ هدايتهم وهو عصمتُهُم من الأهواء وشفاؤُهُم من الأدواء...

ومُراعيًا فيه أيضًا رغبةَ المسلمين اليوم في دراسة كتاب الله وفهمه والعمل به، هي رغبةٌ لم تكن لهم مُنذُ قرونٍ عدَّة ... هذا ونظرًا لليقظةِ الإسلاميّة اليومَ فَقد تَعيَّنَ وضعُ تفسيرٍ سَهلٍ مُيَسَّرٍ يجمعُ بين المعنَى المرادِ مِن كلام الله، وبَينَ اللّفظِ الغَريبِ مِن فهمِ المسلِمِ اليَومَ. نُبَيّنُ فيه العقيدةَ السّلَفيَّةَ المنجِيةَ، والأحكامَ الفقهيَّةَ الضَّروريّةَ، مع تربيةِ التّقوى في النّفُوس، بِتَحبيبِ الفضائلِ وتَبغيضِ الرَّذَائلِ، والحثّ على أداء الفرائض واتّقاء المحارم، مع التّجمّل بالأخلاقِ القُرآنيّةِ والتّحلّي بالآدَاب الرّبانيّة...

وإنّي أطالبُ المسلمَ أن يَقرَأَ أَوّلاً الآياتِ حتَّى يحفظها، فإذا حفظَهَا دَرَسَ كلماتها حتَّى يَفهمَهَا، ثمّ يَدرُسُ معنَاهَا حتّى يَعِيَهُ، ثمَّ يقرأ هدايتَهَا للعمَلِ بها. فيجمعُ بين حفظِ كتابِ الله تعالى وفهمِهِ والعمَلِ بِهِ، وبذلكَ يَسُودُ ويكمُلُ ويَسعَدُ إن شاءَ الله تعالى...[1].

فتلكَ العَوَامل والأسباب شبيهةٌ وقريبةٌ ممّا برَّرَ به وضع حاشيته على تفسيره، والتي عَبَّرَ عنها بقوله:" ...فإنه نظرًا إلى حاجةِ طلبةِ العلمِ إلى المزيدِ من المعرفةِ وكان (أيسر التّفاسير) قد وُضِعَ وضعًا خاصًّا، إذِ الباعث عليه كان تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامّة المسلمين، وتجلية الأحكام الشّرعيّة لهم ليعبدُوا ربَّهُم باعتقاد الحقّ، وبالعَمَل بما شرع دون ما ابتُدع، مُزَكّين نفوسهم بذلك، مكمّلين آدابهم مُهَذّبين أخلاقهم بما أودع الله ﷻ كتابه من مناهج التّربية الرّوحية والأخلاقيّة والآداب النّفسيّة..."[2].

المبحث الثاني: الدُرُوسُ في الكتاب والمنهجُ فيها ومميزاتها:

لقد كان هذا المبحث بمطالبه مُهمًّا، فهو أحد أركانه، وأجلّ قضاياهُ، وهو ما يَتَبيّنُ إن شاء الله عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: طبيعة دُرُوس التفسير في الكتاب: كتابُ: (المسجد وبيت المسلم) كتابٌ متوسّطُ الحجم، يقعُ – مع فهرس موضوعاته– في 384 صفحة، في طبعته الثالثة بمكتبة لينة للنّشر والتوزيع، دمنهور، (1416 هـ/ 1996م).

جَمَعَ فيه الشّيخُ أبو بكر الجزائريّ بَينَ شرحِ آياتٍ وشرحِ أحاديث ضمن دروسٍ، **كان مجموعها 359 درسًا**، يَشرحُ في الصّفحة الأُولى مَوضِعًا مِن القُرآن، ويشرحُ في الصفحة الثّانية حَديثًا أو اثنين أو ثلاثة مِن أحاديثِ رُسُول الله صلى الله عليه وسلم يجمعها موضوعٌ واحدٌ.

وكان يعرضُ درسَهُ في عُنصُرين: يُسَمّي أوّلَهُما: الشَّرح – أي شَرح الآية أو الحديث–، فَيُقدّمُ فيه المعاني الإجماليّة الكُلّيّة للنّص المشروح، ويُسمّي الآخَرَ: إرشاداتٌ للمُرَبّي، يُقدّمُ فيه جُملةً مِن التّوجيهَات والإرشادات التي يحتاجُ إليها

[1]– أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، وبهامشه نهر الخير، 1/ 04– 07.

[2]– المصدر نفسه، 1/ 08.

المتلقّي، كما يستفيدُ منها المربّي في إيصال تلك المعاني للنّاسِ مَرحلَةً مرحلةً[1].

أمّا دُرُوس التّفسير التي قدّمَها الشّيخ الجزائريُّ وتناولَهَا بنفسِهِ التّربويّ الوعظيّ الإصلاحيّ فقد بَلغَت – فيما أحصيتُ ورأيتُ- **180 دَرسًا**، لا يتَعدَّى الدّرسُ الواحدُ صفحةً واحدةً، وقد يكون الموضِعُ آيَةً كاملةً، أو جُزءًا مِن آيةٍ ، وقد يكونُ آيتَين أو ثلاثَ آياتٍ مُتعدّدة متتالية، وهُو ملمحٌ منهجيٌّ يُعينُ على أنّ الكتابَ بمادّتِهِ ومقَاصِدِهِ مُوجّهٌ لعُمُوم المسلمينَ والمثقّفينَ على اختلافِ أعمارِهِم ومُستَوَياتهم واهتمَامَاتِهِم الدّينيّة والدُّنيويّة[2].

وأمّا دُرُوسُ شرح الحدِيثِ فقد بَلغَت 179 دَرسًا، وقد يذكرُ حديثًا وَاحدًا – وهو الغَالب- ، كمَا قد يسوقُ حديثينِ اثنين، وقد يتعدّاهما إلى ثلاثة.

وكان شرطُ الشّيخ الجزائريّ في مقدّمة كتابِهِ أن يعتمدَ الأحَاديثَ الصّحيحةَ، وأغلبُها ممّا في البخاريّ ومسلمٍ أو في أحدهما.

وقد يكون الحديث في السُّنَن وغيرهَا، وقد يُشيرُ إلى صِحّته بعزوِهِ إلى إحدى كُتب العلّامة الألبانيّ في تمييزِ الصّحيح عن الضّعيف.

وأمثلة هذا الصّنيع عدّةٌ معتبرةٌ، فقد عَزا إلى (صحيح ابن ماجه) للألبانيّ[3] حَديثَ دَرسِ الثّامِنِ مِن شعبان : (**الرّبا سبعون حوبًا**) (إثمًا) أيسرها أن ينكح الرّجُل أُمَّهُ) وكذا الحديثَ معهُ عن ابنِ مسعود: (**إنّ رسول الله ﷺ لعنَ آكِلَ الرّبا ومُكِلَهُ وشاهدَيه وكاتِبَهُ**)، وقال: (**ما أحد أكثر من الرّبا إلاّ كان عاقبة أمره إلى قلّة**))[4].

---

[1]- ينظر على سبيل المثال المواضع الآتية في كتابه: الدّرسُ الأوّلُ: قولُهُ تعالى: (**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)**) [النّحل:98- 99- 100]، ص 11، الدّرسُ الثّالثُ: قولُهُ تعالى: (**الحمدُ لله ربّ العالمين الرّحمَنِ الرّحيمِ مَلِكِ يومِ الدّين**)[الفاتحة: 2- 4]، الدّرسُ الخامسُ: (**إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقِيمَ**)[الفاتحة: 5- 6]، والدّرسُ السّابعُ: قولُهُ تعالى: (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ**)[الفاتحة: 7]، والدّرسُ التّاسعُ: قولُهُ تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**)[بعض الآية السّادسة من سورة المائدة]، والدّرسُ الحادي عشر: قولُهُ تعالى: (**وَإِن كُنتُم جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**)[بعضُ الآية السّادسة من المائدة]، والدّرسُ الثّالث عشر: قولُهُ تعالى: (**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ**)[بعض الآية السّادسة من سورة المائدة]، والدّرس الخامس عشر: قولُهُ تعالى: (**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)**) [الآية 45 من العنكبوت]، والدّرسُ السّادس عشر: قوله تعالى:(**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)**)[الآيتان 199- 200 من الأعراف] وهكذا إلى آخر دَرسٍ من دُرُوسِ التّفسير وهو الدّرسُ التّاسعُ والعشرُونَ في التّاسعِ والعِشرِينَ مِن ذِي الحِجّة وهُوَ قولُ الله تبارك وتعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(40)**))[الأحزاب: 40].

ولأجلِ تَصَوُّرِ وضعِ الدُّرُوس وترتيبها خلافًا للتّرتيب المصحَفيّ يمكنُ أن يُستعانَ بفهرسِ آياتِ وأحاديثِ تلك الدُّرُوس في آخر الكتاب، ص 373- 383.

[2]- ينظر قريبًا من هذه الأفكار حديثُهُ عن حالِ المسلمين وكيدِ الأعداء، وتصويرُهُ الواقع السّيّء في مُقدّمة كتابه: المسجد وبيت المسلم، ص 07- 09.

[3]- وهما في صحيح سنن ابن ماجه، للألبانيّ،(5/ 274، 277)، وينظر العزو إلى صحيح سنن ابن ماجه عند ذكر الشيخ أبي بكر الجزائريّ حديث دَرسِ رابعِ عشر شعبان: (**لا تَزَالُ طَائفةٌ مِن أُمّتي لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَة...**)، ص 234، وهو في صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، (1/ 78، 79).

[4]- المسجد وبيت المسلم، ص 228.

المطلَبُ الثاني: منهجُ عَرضِ دُرُوسِ التفسير ومميّزاتها: لقد قَرأتُ مواضعَ تفسيريَّةً كثيرةً في الكتابِ، ووقفتُ عندَهَا وقفاتِ تَأمُّلٍ وتفَحُّصٍ ودراسةٍ، قصدًا إلى إبرازِ ما يمثّلُ منهجَ التّفسيرِ التّربويّ الإصلاحيّ عند الشّيخ الجزائريّ في كتابه هذا، دون إهمالِ ما يكمّلُ العملُ مِنَ الميزاتِ العامّة واللّمسات التّنظيميّة.

من أجل ذلك اخترتُ أن أُسَجّلَ أَهَمَّ مَا عَنَّ لي مُمتَزَجًا بعضه ببعض، علمًا أنّني قد أتجاوزُ التّمثيلَ والنّمذجَةَ، لكون النُّقطةَ المنهجيّة أو الميزَة المتَحَدَّث عنها يسيرة التّحصيلِ والتّصوُّر، وأنّ سَبِيلَ الوُقُوفِ عليها هو النّظرُ في صفحةٍ أو بضعِ صفحاتٍ في الكتاب، بل سَأستَعيضُ عنه بعَرضِ صُوَرٍ لصَفَحَات بعضِ دُرُوسِ التّفسير وشرحِ الحديث في آخر البحث الكتابِ إن شاء الله[1].

وهذا أوان الشّروع في المقصود، وهو فيما يلي:

1- يَذكُرُ الشّيخُ رقمَ الدّرس وتأريخَهُ الهجريّ، ويَستَمرُّ ذلك مُتَسلسِلاً إلى آخر يَومٍ من أيّام شهر ذي القِعدةِ.

2- لا يُرتّبُ الشَّيخُ دُرُوسَهُ حسبَ تَرتيبِ الآياتِ القُرآنيّة في المصحف الشّريف، بل جَعَلَها مُوزّعةً على أيّام السّنَة، وذلك لكونه يختارُ ما يناسِبُ فضائلَ الأيّام والمواسِم وأحكامِ الأشهُرِ ومَا يَتَعلّقُ بذلكَ أو يُقَارِبُهُ، فلا غرابةَ حينئذٍ أن يكونُ الدّرسُ في تفسيرِ آيةٍ من الإسراء، ويَعقُبُهُ دَرسٌ في تفسير آيةٍ من البقرة ، وقد يكون الدّرسُ تفسيرًا لسُورة القَدرِ ثمّ يَعقبُهُ درسٌ في تفسير البقرة ... وهكذا .

وهو صنيعٌ يُعطي مَلمَحًا تَربويًّا يَسمُو بالمسلِمِ في أُسرَتِهِ ومسجِدِهِ ليكونَ مطلبُهُ الدّائمُ هو تحصيل العلم النّافع الذي يُثمرُ كلَّ خيرٍ مِن عملٍ وتربيةٍ وأدبٍ وسُلُوكٍ وتَفكيرٍ و... وأُجلُّ مِن ذلكَ كلّه الاهتداءُ بالقرآن والسنّة.

3- يعرضُ الشّيخُ مادّة الدّرس بعد ذلك عبر عُنصرين رئيسين هما: الشّرح، وإرشادات للمربّي، فيُقدّمُ في عنصر الشّرحِ المعاني الإجماليّة غالبًا، وفي عنصر(إرشادات للمربّي) يقدّمُ أحكامًا وفوائدَ وهداياتٍ مِن أجلِ أن يُبلّغَهَا المربّي في بَيته مع أُسرَتِهِ أو الإمامِ في مَسجِدِهِ، وكثيرًا ما يرشدُ المربّي بقوله: عَلّمهُم كذا، ذَكّرهُم بكذا، عَوّدهُم على كذا وكذا... حَذّرهُم مِن كذا ، حَبّب إليهِم كذا، جَنّبهُم كذا... وهكذا.

4- كون الشّيخ يُقدّمُ تلك الدُّرُوس التّفسيريّة والشّروح الحديثيّة فيما لا يتجاوزُ صفحةً واحدةً، صفحةً لدَرسِ التّفسير، وأُخرَى لِدرسِ الحديثِ يُعطي مَلمَحًا تربويًّا لدى الشّيخ في التّعليم والتّربية وهُو البدء بالقَليلِ، حتَّى يَألَفَهُ النّاسُ وتزدادَ رغبتُهم فيه، وهو صنيعٌ لصيقٌ بمسلكِ الرّبّانيّين في البدء في التّعليم بصِغارِ العُلُوم قبل كِبَارِهَا.

5- لُوحِظَ ارتباطُ دَرسَي التّفسير والحديث ارتباطًا مَوضُوعيًّا، فإنّ الشَّيخ قد جَرَى في كتابه – من أوّلِهِ إلى آخِرِه- على البَدءِ بشَرحِ آيةٍ ثمّ يُثَنّي بشرحِ حَدِيثٍ في مُوضُوعِ الآيةِ نفسِهِ، فكانت مادّةُ الكتابِ بذلكَ نِصفَينِ، نصفٌ تفسِيريٌّ للآي، ونصفٌ شَارحٌ للأحاديث، وكلُّ المادّةِ الحديثيّةِ خادمةٌ مُوضّحَةٌ دالّةٌ مؤكّدةٌ للمَادّة التّفسيريّة.

ولكي نُقرّب هذا الجانب المنهجيّ أكثر يحسُنُ التّمثيل ببعضِ المواضِع، فهو– مثلًا- عندمَا عرضَ درسَ تَفسِيرِ قولِهِ تعالى:(**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ...(100)**)[التّوبة: 100]، أعقَبَهُ بدَرسٍ في شَرحِ حدِيثِ النّبيّ ﷺ:(**الأَنصَارُ لَا يُحِبُّهُم إِلَّا مُؤمِنٌ، وَلا يُبغِضُهُم إِلَّا**

[1]- ينظر في آخر البحث ملحقٌ بصُوَرٍ بعضِ دُرُوسِ التّفسير وشرح الحديث في كتاب (المسجد وبيت المسلم).

مُنافِقٌ، فَمَن أَحَبَّهُم أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَن أَبغَضَهُم أَبغضَهُ اللهُ) وقوله:(لَولَا الهجرَة لَكُنتُ مِن الأنصَار)[رواهُ البخاريّ] .

وفي الدّرسِ الثالث عشر من رمضان في تفسير قوله تبارك وتعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...)** [البقرة: 185]شَرَحَ الآيةَ وقدَّمَ إرشادات للمربّي ثمّ أعقبَهُ بحديثِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ) وقولِهِ ﷺ:(إِنَّ لِلهِ عِندَ كُلِّ فِطرٍ عُتقَاء، وَذَلكَ فِي كُلِّ لَيلَةٍ)، وقولِهِ ﷺ: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النّار كَجُنَّةِ أَحَدِكُم مِن القِتَالِ))**[صحيح ابن ماجه] .

وهذا المسلكُ الذي جرى عليه الشّيخُ في الجَمعِ بين دُرُوسِ التّفسير وشرح الأحاديث يُعطي صورةً من أجلّ صُوَرِ ارتباطِ السّنة بالقرآن الكريم، ويُؤكّدُ تعاضُدَهُما في الدّلالة على المعاني والشّرائع، وهو تطبيقٌ لشَرحِ السُّنَّة للقرآن الكريم.

وهذا هو التّفعيلُ الحقيقيّ لأصلٍ من أُصُول التّفسير عند الشّيخ أبي بكر الجزائريّ، باعتبار السّنة وحيًا من الله، ومَصدرًا من مَصادرِ التّشريعِ، وأنّ أعلى مَراتب تَفسير النّصّ القرآنيّ أو شرحه ما كان بلِسَانِ وفعلِ مَن أُنزِلَ عليه القُرآن.

6– كانت مجالات التّفسِير التّربويّ في كتاب الجزائريّ مختلفة متنوّعة، فَمِنهَا دُرُوس التّفسير المتعلّقة بالتّربية الإيمانية والعقديّة[1]، ومنها دُرُوس التّفسير المتعلّقة بالتّربية التّعبّديّة[2]، ومنها دُرُوس التّفسير المتعلّقة بالتّربية الأخلاقيّة والسّلوكيّة[3].

7– كانت دُرُوسُ التّفسير مختصرة، قليلة الألفاظ، لكنّها مُعبّرةٌ بقوّة عن المعاني والإرشادات، ولَعلّ المقصد في ذلكَ هُو التّرغيبُ في الإقبال على مجالِسِها استِمَاعًا، ثمّ المداومةُ والاستمرارُ على ذلك تحصيلاً وانتفاعًا.

8– وُضُوحُ اللُّغة والأسلوب في شرح الآيةِ أو الآياتِ، خاصَّة ولأنّ شرحَ الآيةِ كانَ إجماليًّا يُعنَى فيه بلُبَابِ المعَاني وجَليلِ المقاصِدِ، مع ما يُرشِدُ إليه المربّي في الإرشادةِ الثّانية – غَالبًا– مِن قراءةِ الشّرحِ بتأنٍّ وتفسيرِ ما يحتاجُ منه إلى تفسِيرٍ للمستمَعينَ.

9– كانَ التّفسيرُ في تلك الدّروسِ مُركّزًا على ما هو لَصيقٌ بألفاظِ الموضعِ القُرآنيّ المتَنَاوَلِ وسيَاقِهِ، فَلا يَسُوقُ الشّيخُ

---

[1]– تنظر نماذج لذلك في المواضع الآتية: درس قوله تعالى:(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)**)[الفاتحة: 5– 6]، ص 15، ودرس قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[آل عمران: 102– 103]، ص 41**، ودرس قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)**)[الأحزاب: 41– 42]، ص 45.

[2]– تنظر نماذج لذلك في المواضع الآتية: درس قوله تعالى:**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)**[المائدة: 06]، ص 19، ودرس قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)**[البقرة: 183]، ص 51، ودرس قوله تعالى: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238)**)[البقرة: 238]، ص 53 ، ودرس قوله تعالى: **(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)**)[النساء: 93]، ص 153.

[3]– تنظر نماذج لذلك في المواضع الآتية: درس قوله تعالى: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)**)[النور: 61]، ص 197، ودرس قوله الله تبارك وتعالى: **(وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)**[النساء: 213]، ودرس قوله تعالى:**(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا 10)...(12)**)[الإنسان: 8– 12]، ص 191.

المعاني لمجرَّدِ احتمالِ اللّفظِ لها وهي خارج عن لَفظِ الآيةِ المشرُوحَة.

10- تميّزَت كتابةُ الشّيخ في كتابه بالتّرفّق بالمتعلّم وهو يشرحُ المعاني ويقرّبُها، وبالمربّي وهُو يرشِدُهُ إلى خطواتِ إيصالِ تلكَ المعاني المقدَّمة وكيفيّة إيضَاحِهَا[1].

11- كونُ الشّيخ يختارُ ما بَين المغربَين وقتًا لقراءة مادّة الدُّرُوس وشرحها مع الأُسَرِ أو في المسَاجد[2] إنّما هو – في نظري- مراعاة لأحوال الأُمَّة والتّحدّيات الحياتية التي لا يُمكِنُ الانفكاك عن أكثرها إلاّ عند هذا الوقت، ولعلّ الشّيخ يستحضِرُ غفلةَ النّاسِ في هذا الوقت، فَأَرشَدَ إلى استغلاله واستثماره في تعلُّمِ الكتَاب والسُّنَّة والالتزام بهَذَا العَمَل الإصلاحيّ.

12- لا يذكُرُ الشّيخُ الجزائريُّ مَصادرَهُ ومراجعَهُ في التّفسير في ثنايَا دَرسِهِ وإرشاداته، ولعلّ ذِكرَها لا يُوائِمُ طبيعة الدّرس ومقصِدَهُ، وليس بعيدًا أن يُقدّمَ الشّيخُ مادَّةَ الشّرحِ للآية وهو يَستحضِرُ مَا كتَبَهُ عنهَا وَوَعَاهُ مِن معَانيهَا ممّا أودَعَهُ كتابَهُ: (أيسر التّفاسير)، وقد قرّرتُ هذه الفِكرَةِ بعد مُقَارَنتي بينَ بضعِ مَوَاضعَ مِن دُرُوسِهِ في كتابِهِ (المسجد وبيت المسلم)، وتفسيره (أيسر التّفاسير) فَشَهِدَتْ بذلكَ.

13- لا يَسُوقُ الشّيخُ الجزائريُّ الخلافاتِ ولا يَدُلّ القارئَ عليهَا، وذلكَ محافظةً على مَقصِدِ الاختَصارِ، وتعليمِ ما هُو أَولَى مِن ذلكَ، وَكلاهُمَا نَظَرٌ تَربويٌّ لهُ قيمتُهُ وأثرُهُ.

14- يكادُ يكونُ الشّيخُ الجزائريُّ في العصر الحديث مُتَميّزًا في كتابِهِ هذا من حيثُ فكرةُ صِياغتِهِ وتنظيمِهِ، ومن حيثُ هو تجربةٌ ومشروعٌ للتّربية الأُسريّة على الهَديَيْنِ القُرآنيّ والنّبويّ.

15- يلاحظُ أنّ الإرشاداتِ والهداياتِ التّربويّة التي يُقَدّمُها الشّيخُ الجزائريُّ تحت عُنصُرِ: (إرشادات للمربّي) تتقاطعُ ما يَذكرهُ في تفسيره (أيسَر التّفاسير)، وربّما ذكرَ في كتاب (المسجد وبيت المسلم) ما يناسِبُ مَقصدهُ فيه مع مَا لا يَذكُرهُ في (أيسر التّفاسير) الذي اتّجَهَ بِهِ نحو مَقاصِدَ أَوسع وأكثرَ تَنوّعًا.

16- يبدو للباحث الواعي أنّ الشّيخ الجزائريّ في كتابه هذا يُخاطِبُ المربّي الجزائريّ أَوّلاً، وليس ذلك بعيدًا أو غريبًا إذا ما عُلِمَ اتّصالُه الدّائم ببلادِهِ وَاقعًا ومُعطيَاتٍ، دَعوةً وتَحدّيَاتٍ، وليسَ أدلّ على ذلك ما يخصُّ به الجزائر والمغرب عُمُومًا وبعض البلاد بطَبعاتٍ مِن كُتُبِهِ، كما هو الحالُ لبعض طبعات كتابه: (منهاج المسلم) مثلا.

17- يرى الباحث أنّ هذا الضَّربَ مِن الاشتغال بالقرآن، وهذا النّوع من الدّراسة القرآنية، إنّما هو جُزءٌ من أعمالِ واهتماماتِ أصحابِ الاتّجاهِ الإصلاحيّ في التّفسير في العصر الحديث.

18- يبدو الشّيخ الجزائريُّ متأثّرًا بمنهج عُلماء الجزائر في الإصلاح مِن أقطابِ المدرسة الإصلاحيّة، فقد كان منهَجُهُم العَامُّ في التّذكير والوعظ الدّينيّ والإرشاد والتّربية مَبنيًّا على القُرآن والسّنّة، ولهذا كَثُرَت دُرُوسُهُم وبَرَزَ دورانُهَا على تَفسِيرِ آيةٍ أو شرحِ حديثٍ، وهو المسلَكُ المعهُودُ عنهم لَدى النّاس، والدّليلُ على ذلك أنّ النّاس يَطلبُونَ تفسيرَ

[1]- يُلمسُ ذلك من عباراته المرغّبة في الاشتغال بكتابه وجمع الأسرة أو أهل المسجد عليه، ص 09، ص 371- 372، وإرشاداته التي خاطبَ به المربّي.

[2]- تنظر مقدمة كتابه، ص 09.

آيةٍ أو شرحَ حديثٍ ممّن يَزُورُهُم وينزِلُ عندهم مِن عُلماءِ جمعية العلماء في أنحاء القطرِ الجزائريّ[1].

19– لا يَستَبعِدُ الباحثُ أن يكون الشّيخُ الجزائريّ في كتابه مُتأثّرًا بشيخِهِ العُقبيّ في دُرُوسِ التّفسير في الجزائر العاصمة، وقد أثنَى عليه ضِمنَ عَدَدٍ مِن المصلحينَ في مقدّمة كتابه في سِيَاقِ تبريرِ تأليفِهِ الكتاب قائلاً: " ...فأخَذَ الوعيُ ينتشرُ والعودةُ تخطُو خطواتٍ، ورَحِمَ اللهُ أعلامَ تلكَ النّهضة مِن أمثالِ الشّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهّاب وتلامذته، والشّيخ رشيد رضا وشيخه مُحَمَّد عبده والشّيخ جمال الدّين الأفغانيّ والشّيخ الطّيّب العُقبيّ رجل التّوحيد والإصلاح الذي لم تكتَحِل عَينُ الوُجُود بمثلِهِ في أيّامه وإلى اليوم فَرحمةُ الله عليه وعلى إخوانِهِ الهُداة الدُّعاة الصّالحين المصلحين..." [2].

20– كان أسلوبُ الشّيخ الجزائريّ في الكتابِ جامعًا – في أغلبه – بين أسلُوبِ التّذكير والوعظ الدّينيّ المسجديّ العامّ والأسلوب التّعليميّ المدرسيّ المعاصر، وتَكفي في تأكيدِ ذلك نظرةٌ عجلى في كتابه مقارنَةً بعُنصُري الفوائد والإرشادات وكذا الاستثمار السلوكيّ في كتاب العُلُوم الإسلاميّة الثّانويّ ، وذلك فيما تعلّقَ بمجالِ أو مِلَفِّ (من هدي القرآن الكريم) ، وكذا مجال أو مِلفّ (من هدي السّنّة النّبويّة) [3].

المطلب الثالث: الجانبُ التربويُ في الدّرسِ التفسيريّ في كتاب الشيخ أبي بكر الجزائريّ: لسنا في حاجة إلى الاستدلال على تَمَيُّزِ الدّرس التّفسيريّ في هذا الكتاب بأكثر ممّا أَودعهُ المؤلّفُ ضمن العنصر الثّاني من عنصري دروسه، وهو الذي يُسمّيه: **إرشاداتٌ للمربّي**.

والنّاظرُ في تلك الإرشادات، وإن كانت معاني متعلّقة باللّفظ القرآنيّ، أو أحكامًا أو هداياتٍ وفوائدَ، فإنّها مُصطبغة بالتّفكير والعَملِ التّربويّين مادام المقصود من الإرشاد إليها هو تربيةُ النّاس وتنشئتُهُم على هذا المنهج الإصلاحيّ البِنائيّ للفرد والأسرة والمجتمع.

والذي يُسَوّغُ استظهار الجانب التّربويّ هُنَا هُوَ عنايةُ المؤلِّف في العنصر الثاني مِن كُلّ دَرسٍ بخطابِ المرَبّينَ في الأُسَر والمساجِدِ وإرشادُهُم إلى معاني التّنشئة والتّعليم والتربية على العمل بتلك المعاني والأحكام والاستمرار على ذلك.

وقد رأيتُ أن أُسجّل هُنا مجموعةً من النّقاط تُقَرّبُ لنا أكثر وبصُورة خَاصّة مضامينَ عُنصرِ الإرشادات للمُربّي،

---

[1]– ينظر طلب هيئة الجمعية الخيريّة بمنطقة سيدي مزغيش من الإمام ابن باديس أن يذكّرهم بآية أو حديث، وأنّه لبّى طلبَهم فتلا عليهم قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**)[إبراهيم: 24]، وأخذ في تفسيرها بما هو معهود عنه من فصاحة البيان، والغوص في الاستنباط. تنظر: جريدة البصائر، (4/ 126)، عدد 156، ص 02، وينظر أيضًا خبر اقتراح بعض المريدين في البليدة أن يلقي الشيخ ابن باديس درسًا بالجامع الأعظم، وقد ألقاهُ في تفسير قوله تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**...)[الشورى: 13]. ينظر: مجلة الشّهاب، لابن باديس، (غرة رمضان 1350 هـ/ جانفي 1932م)، (8/ 45– 46).وينظر: شواهد على على هذا السلوك في مقال: دروس الإمام ابن باديس في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية، للدكتور مراد خنيش، وهو مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 35، العدد: 03، (2021)، ص 173، 185، وينظر أيضًا خبر اقتراح بعض المريدين في البليدة أن يلقي الشيخ ابن باديس درسًا بالجامع الأعظم، وقد ألقاهُ الدّرسَ في تفسير قوله تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**...)[الشورى: 13]. ينظر: مجلة الشّهاب، لابن باديس، (غرة رمضان 1350 هـ/ جانفي 1932م)، (8/ 45– 46).

[2]– مقدمة الكتاب، ص 08.

[3]– ينظر هذا العنصر ضمن العناصر المفاهيمية في مجال (من هدي القرآن الكريم) في كتاب العلوم الإسلامية، السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب، جذع مشترك علوم وتكنولوجيا (2015– 2016)، ص 08– 25، وينظر في ملفّ (من هدي القرآن) في كتاب العلوم الإسلامية، السنة الثالثة ثانوي – جميع الشعب– (2013– 2014)، ص 04– 32.

وتُصوّرُ لَنَا الأُسلُوبَ العامّ في عرضها وتقديمها، وإليكها فيما يلي:

1– كانت الإرشادات للمُربّي عند كُلّ دَرسٍ دَائرة بين الأربع والثّمان، وأكثرها دائرٌ بين الخمس والستّ[1]، كما لُوحظَ اشتراك المواضع كلّها في إرشادتين هما الأُولى والثّانية[2].

2– كان خطاب الشّيخ الجزائريّ لربّ الأسرة وإمام المسجد باعتبار تُمَيّزهما عَقلًا وأَهليةً وَوَظيفةً ومسؤُوليّةً، فقد قال في مقدّمة كتابه: "...فَكتبتُ هذا الكتاب الحاوي لِثلاثمأئة ونيّف وستين آيةً وحديثًا صحيحًا، بحيثُ يجلسُ إمامُ المسجد أو ربُّ الأُسرة في بيته بعد صلاة المغرب... "[3].

3– يُصدّرُ الشيخُ تلك الإرشادات للمُربّي بأمرِهِ أن يَقرَأَ عليهم الآيةَ أو الآيَاتِ مُرَتّلةً ويُعيد ذلكَ مَرّاتٍ وأهلُ المجلسِ يَستمعُون حتّى يحفظُوهَا وَيَعُوا مَعانيها وهِدَايَاتِهَا[4].

4– النّاظّر المتأمّلُ في تلك الإرشادات التّربويّة التي يسدّدُ بها المربّي يدركُ ارتباطَها بالمعاني الإجماليّة التي قدَّمَها الشّيخُ الجزئريّ في عنصر الشّرح.

5– يبدو أنّ الشّيخ يقصدُ في كتابه إلى حفظ تلك الآيات القُرآنيّة أَمَلًا في استحضارِ معانيها وإرشاداتها، لأنّه كثيرًا ما يأمُرُ المربّي بتلاوتها مُرتّلةً مَرّاتٍ حتّى يفهمُوهَا ويَعمَلُوا بما فيها، وكأنّهُ يَرغَبُ في استحضارِ هذه الآيات كَرَغبَتِهِ في استحضار الأحادِيثِ التي يَشرحُهَا عَقِبَ كُلّ آيَةٍ[5].

6– يَظهرُ للمُتَتبّعِ الفاحص أنّ ما يَذكرُهُ الشّيخُ مِن إرشاداتٍ للمُربّي إنّما هو خُطّة يُقدّمُهَا للمُربّي في بيته أو مَسجدِهِ مَرحَلةً مَرحَلةً حتّى يُوصِلَ إلى أذهانِ المستَمِعِينَ تلكَ المعاني التي ذَكرَهَا وأشَارَ إليها في شرح الآية.

7– يظهر للدّارس أنّ بعض الإرشادات التي يُقدّمُها للمُربّي إنّما هي تفصيلٌ لما أجمَلَهُ في شرح الآية، كما وَقَعَ لهُ في دَرسِ قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42))[الأحزاب: 41– 42]**، فإنّه لم يذكُر مِن الأذكار حَالَ شَرحِ التّسبِيحِ بُكرةً وأَصيلًا إلاّ مَا وَرَدَ: **(مَن قَالَ سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ مِأْئةَ مَرّة صَبَاحًا أو مَسَاءً غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّمَ مِن ذَنبِهِ)** لَكنّهُ عَادَ في الإرشادة الثّالثة للمُربّي فقال:"اذكُرْ لَهُم الأوْرَادَ الواردةَ عن النّبيّ ﷺ في الذّكر نحو: **(لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهُو علَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ مِأْئة مرّة)**، و**(سُبحانَ اللهِ، والحمدُ لله، واللهُ أكبرُ ثَلاثًا وثَلاثِينَ وَخِتَامُها بلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحَدهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ)** ونحو:**(رَبِّ اغفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ إِنّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** إذْ كان يُكثرُ منها رسول الله ﷺ حتى قال ابنُ عمر: **(عَدَدنَاهَا فَوجدَنَاهُ يقولُهَا في المجلسِ الواحدِ مِأْئة مرّة)**"[6] .

8– يُرشدُ الشّيخُ المربّيَ في مواضع كثيرة إلى استعمال لُغَةِ المستَمِعِينَ العَامّيّة مِن إيصال المعنى، فكثيرًا مَا يقولُ: "اقرَأْ

---

[1]– تنظر – على سبيل المثال– المواضع الآتية : ص 21، 23، 25، 27، 35، 41، 47، 63، 67، 83، 103، 123، 147، 199 وغيرها.

[2]– تنظر – للتأكّد– المواضع السابقة.

[3]– تنظر مقدمة الكتاب، ص 09.

[4]– تنظر في ذلك مواضع – على سبيل التمثيل– : ص 11، 13، 15، 25، 31،47، 53، 81، 95، وغيرها.

[5]– تنظر إرشادهُ إلى تلاوتها وحفظها في المواضع الآتية: ص 83، 85، 87، 89، 91، 93، 95، 97، 99، وغيرها.

[6]– المسجد وبيت المسلم، ص 45، وتنظر الإرشادة الخامسة في ص 47، والإرشادة السّادسة، في ص 57، والإرشادة الرابعة، في ص 79، والإرشادة الرابعة، في ص 143، وغيرها.

عليهم شرحَ الآياتِ الثّلاثِ بتأنٍّ، وعَبِّرْ لهم بلُغتهم العَامّيّة بما يكونُ شَرحًا لها في الكتَابِ الذي بَينَ يدَيكَ"[1] .

وقد لاحَظتُ هذا الإرشاد في عشرة مواضع، وهي ضِمن الدُّرُوس الأولى في الكتاب، ثمّ يكتفي الشّيخ بالإرشادِ إلى قراءةِ الشّرح بتأنٍّ جملةً جملةً مُبيّنًا معاني كُلِّ جملةٍ حتّى يَفهَمُوا، وَرُبَّما قال:"... حتّى يفهَمَهُ المستمِعُون فَهمًا جيّدًا"[2].

وهو صنيعٌ يُعطي مَعنى التّدرّج والتّرقّيّ في لغة تَعليمِ المستَمعينَ في الأُسَر والمساجد، فإنْ هُم خُوطِبُوا بلسَانهم الدَّارِج في بداية أمرهم فلا يُعني ذلك الاستمرار على هذه الأسلُوبِ واللّغةِ، بل يحمِلُون شَيئًا فَشَيئًا على اللُّغة الفصيحة.

9- يحرصُ الشّيخ على قراءة المربّي للآيةِ أو الآياتِ مجوَّدةً مع تَكريرِ المستمعِينَ لها حتّى يحفظَهَا أكثرُهُم، وهُو مَلمحٌ تربويٌّ ظاهرٌ في جُلِّ الإرشادات المقدَّمَة ، ثمّ إنَّ مقصِدَ الحفِظ قد كَرَّرَهُ وَصَرَّحَ به في مواضع، وأوضَحُ من ذلك كُلِّهِ قولُهُ في خاتمة كتابهِ وهُو يُوصِي:"ولهذا فنَصيحتي لأئمّة المساجدِ الذينَ يدرسُون هذا الكتاب بعد صلاة المغرب من كُلِّ يومٍ أن يلتزمُوا بهذا العمل الإصلاحيّ الجليلِ، وهو تعليمُ أهلِ قريتهم أو حَيِّهم في مدينتهم يومًا آيةً ويومًا حديثًا. ويلزمُوهُم أَدَبيًّا بحفظِ وَفَهْمِ مَا يَتَعلّمُونَهُ يوميًّا والعملِ بهِ حَرفيًّا فإذا مَضَى عليهم أربعة أشهُرٍ وهُم في ذلك النّور مِن تعلُّمِ الكتابِ والسُّنّة وقد استنَارَت قُلُوبُهُم وانشرَحَت صُدُورُهُم وزكَت نُفُوسُهم وأصبحُوا أهلًا للمعرُوفِ والخيرِ..."[3] .

10- يحرصُ الشّيخُ على تربية المستمعين على التّلقّي بالأدلّة كمَا يُوصي بذلكَ المربّي في مواضعَ، منها قولُهُ: "بَيّن لَهُم حكمَ الاستعاذة عند قراءةِ القرآن، وأنَّها مَشروعةٌ بهذه الآية الكريمة: **(فَإِذَا قَرَأْتَ...) إلخ[النّحل: 98]**، وأنّ على مَن أَرادَ القراءةَ لِسُورةٍ أو آياتٍ أن يَتعوَّذَ ولا يُسمِل، بهذا مَضَت سُنَّة النّبيّ ﷺ "[4] .

ومن ذلك قولُهُ في الإرشاد الرّابع للمُربّي عند قوله تعالى:**(وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا)[النّساء: 128]**، قال: "عَلِّمْهُم أنّ النُّشوزَ كما يكُونُ مِن الرَّجُل يكونُ مِن المرأة كما في قوله تعالى: **(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)[النّساء: 34]**، أي: لإيذَائِهِنَّ"[5] .

المبحث الثالث: مجالات الاستثمار الممكنة: وهو ما يمكن الإفادة به عبر المطلبين التّاليين:

المطلب الأوّل: استثمار مادّة الكتاب التفسيريّة: لا يمكنُ في نظر الباحثين الحديث عن إمكانية استثمار فكرة أو مشروع إلاّ إذا ثبتت قيمتهُ، وتأكّدت فائدتُهُ، وبرزت عائدتُهُ.

هذا وإنّ القيمة العلميّة لدُرُوس التّفسير التّربويّ في كتاب الشّيخ الجزائريّ لهي ثابتةٌ مُؤكّدةٌ مِن واقع الكتاب، وتميّزِهِ مضمونًا ومنهجًا هدفًا.

فالكتابُ بمادّته التّفسيريّة التّربويّة قد يَتَعَدَّى تَوصيفُهُ إلى كونه لَبِنةً أُولى أو مِن اللّبِنَات الأُولى التي تَستحقُّ أن تُدعى بالمشروع التّربويّ في ضوء الهَديَين القُرآنيّ والنّبويّ.

---

[1]- تنظر الإرشادة الثانية من إراشاداته للمربّي في المواضع الآتية: في الصفحات: 13، 15، 17، 23، 27، 29، 31، 33.

[2]- تنظر الإرشادة الثانية من إراشاداته للمربّي في المواضع الآتية: في الصفحات: 85، 87، 95، 107، 11، 123، 127، 135، وغيرها كثير.

[3]- المسجد وبيت المسلم، ص 371.

[4]- المصدر نفسه، ص 11.

[5]- المصدر نفسه، ص 345.

ويحسِبُ البَاحثُ أنّ طموح الشّيخ الجزائريّ في خاتمة كتابه لا يَدَعُ شكًّا في أنّهُ أرادَهُ مَشروعًا عمليًّا يُحتَذَى، بدليل خطابه أرباب الأُسَر وأئمّة المساجد بحملِ النّاس وتوجيهِهِم إلى القراءة في الكتاب والاجتماع عليه مدّة أربعة أشهر، وهو ما يُنتِجُ تفكيرًا إصلاحيًّا بعد ذلكَ وهي مرحلةٌ مِن العَمَل المبنيّ على الوعيّ والاستنارةِ بنُورِ القرآن والسّنّة ، وهو ما يُعينُ على تكوينِ لجانٍ برٍّ وخيرٍ تُشرفُ على أعمالٍ أُخرى لا يَتَهيّأُ لها إلاّ مَن تَشَرَّبَ نَفعَ تلكَ الدُّرُوس واستمرَّ عليها.

وفي ضوء هذه المعطيات يمكنُ اقتراحُ جملةٍ من الأفكار وعرضُ مُقترحاتٍ لإخرَاجِ الكتابِ مِن مَادّته العِلميّة إلى مَشَاريعَ عَمَليّة مُوزّعة على الزّمان والمكان، في إطار تنظيمِيٍّ تَعاوُنِيّ تَكامُلِيّ، تلامسُ واقع النّاس، وتُشَخّصُ أمرَاضهُ، وتُعِينُ على التّربية والتّهذيب، وأهمُّ تلك الأفكار وأقربُها إلى الواقع الإجرائيّ ما أُسجّلُهُ في النّقاط الآتية:

1- يمكنُ استثمارُ مادّة الكتاب على مُستوى الإرشاد الدّينيّ المسجديّ النّسويّ، خاصّة وقد أقبلَتِ النّساءُ على اختلاف أعمَارِهِنّ وظُرُوفهنّ في الوسط الجزائريّ على دُرُوس المرشدَات وتوجيهاتهنَّ في المساجد، وهي عمليّة يمكنُ أن تُشرفُ عليها ممثّليات الوزارة الوصيّة في إطار من التّنظيم والتّنسيق والبرمجة الجادّة الكفيلة بنشر الوعي والهدي القرآنيّ التّربويّ.

2- أحسبُ أنّ الاستفادةَ من مادّة كتاب الجزائريّ في بناءِ أو إثراءِ محور (هدي القرآن الكريم) وكذا محور (هدي السّنّة النّبويّة) في كتاب العلوم الإسلاميّة بالطّور الثّانويّ أَضحَتْ لَازمَةً أكثرَ ممّا مَضى الزّمان، ومُسوّغَاتُها كثيرةٌ، خاصّةً وأنَّ الشّيخ قد جَمَعَ بين التّدريَسيْنِ المسجديّ والأكاديميّ – في مرحلة سابقة – ، فلا تَغيبُ عنهُ خُصُوصيَاتُ كُلٍّ منهُمَا، ولا يَعسُرُ على أمثالِهِ صياغة ما يُلائمُ الزُّمرَتَينِ مِن المتمَدرِسِينَ.

المطلب الثاني: استثمارُ فكرةِ الكتاب: أرى أنّ المفيدَ هُنا رَصدُ الأفكار الدّالّة على المقصود، وقد عَنَّ لي من ذلك بضعٌ منها، أولاها بالاستظهار في نظري ما أسجّلُهُ في النّقاط الآتية:

1- يمكنُ للعقلاء من الدّعاة والمربّين أن يحتذُوا هذه التّجربة التّربوية التي قدّمها الشّيخُ الجزائريّ، وذلك باختيار آياتٍ أُخَر تناسبُ البيئةَ والزّمَانَ، وتُلامِسُ تحدّياتِ الحياةِ، ومُعطياتِ الأُسَر والمجتمعات، على أن تُوَزَّعَ على أيّام السّنة مِثلَمَا هُو صنيعُ الشّيخ الجزائريّ في كتابه.

2- يمكن لهذا المشروع في جانبِهِ العمليّ الواقعيّ أن يُطَوَّرَ من خلال استغلال الوسائل الحديثة المتاحة كالقنوات الفضائيّة والمواقع الإلكترونيّة، ويكون جانبًا مَعنيًّا به مِن التّفسير الهدائيّ التّربويّ عبر الإذاعات الرّسميّة وغير الرّسميّة، كإذاعة القرآن الكريم مثلًا، وإذاعة الصّومام، وغيرِها مِن القنوات والفضائيات المتاحة.

3- يمكنُ تطويرُ هذه الفكرة إلى مشروعٍ واسع يَسَعُ أنحاء الوطن، بحيثُ تُراعى فيه لُغاتُ النّاس ولهجاتُهُم، خاصّة من لم يكُن لسانُهُ عربيًّا مِن أهلِ المناطق الأمازيغيّة في مناطق بجاية وتيزي وزو وغيرهما.

4- يرى الباحثُ أن السّير وفق هذه الخطّة التّربويّة يُنتجُ تَكامُلًا بين مجالاتِ التّربية والهدي القُرآنيّ، وشخصيّة مسلمة مُتّزنة متكاملة المعارف، مُشبَعَة بالثّقافة الإسلامية المستمدّة من هدي القرآن وهدي رسول الله ﷺ، وهو مقصدٌ سامي مُراعًى في مَشرُوع مَدارس التّربية والتّعليم لدى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين يُرادُ به تهذيبُ البنينَ والبنات.

خاتمة:

بعد هذه الرّحلة العلميّة المتواضعة مع المادّة التّفسيرية في كتاب: (المسجد وبيت البيت)، يمكنُ تسجيل جملة من النّتائج والملاحظات فيما يأتي:

1– كانت المادّة التّفسيريّة في كتاب (المسجد وبيت المسلم) مادّةً ثرّةً خصيبةً، تُضَافُ إلى جهود الشّيخ الجزائريّ التّفسيريّة.

2– يؤكّدُ البحث المكانة المرموقة الممتازة للشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ أكثر ممّا مضى، لكون مكانته التّفسيريّة ودرايته الواسعة بعلُوم القرآن قد ثبتَت أيضًا في غير تفسيره الذي عُرف به (أيسر التّفاسير)، وذلك من خلال التّطوّاف بحثًا عن مادّة تفسيريّة خالصة أو تُشبهُ أن تكون تفسيرًا وتقاربُهُ وذلك في نحو **180 درسًا تفسِيريًّا مَكتُوبًا**.

3– يختلفُ منهجُ الشّيخ في تَنَاوُلِ الآياتِ القُرآنيّةِ بالتفسير والتأويل وأنواع الاستنباط والاستدلال والاستفادة في تفسيره : (أيسر التّفاسير) عن تناوله للآيات خاصّة في المواضع التي بلغت نحو **180 موضعًا تفسيريّا** في كتابه: (المسجد وبيت المسلم).

4– لا نجدُ للشّيخ الجزائريّ إشارة إلى مراجعه التّفسيريّة في كتابيه: (المسجد وبيت المسلم)، في حين يُسمّي أهمّ أربعة مراجع في ختام مقدّمة: (أيسر التّفاسير) وهي: تفسير الطّبريّ، وتفسير الجلالين، وتفسير المراغي، وتفسير السّعديّ، وهو ما يجعلُ احتمال رجوعِهِ إليها في كتابه: (المسجد وبيت المسلم). كما يجيزُ البحثُ إمكان استقاءِ الشّيخ الجزائريّ من تفسيره: (أيسر التّفاسير)، مع تَصَرُّفٍ واختصارٍ يُناسبُ طبيعةَ كتابِ (المسجد..)، وقد أثبتَتْهُ بعضُ المقارناتِ لمواضِعَ في الكَتَابَيْنِ.

5– كانت عنايةُ الشّيخ الجزائريّ في دُرُوسِهِ التّفسيريّةِ في كتابِهِ مُنصبّةً على الجانبِ التّربويّ، كما تنوّعت مجالات الإرشاد التّربويّ إلى: إرشادات عقديّة وإيمانيّة، وإرشادات تعبُّديّة، وأُخرى أخلاقيّة سُلُوكيّة.

6– كانت عبارةُ الشّيخ في دُرُوسِهِ التّفسيريّة سهلةً واضحةً، وافيةً بالغَرضِ، ولم يُلحَظ في أُسلُوب الشّيخ غُمُوضٌ أو تعقيدٌ، أو إغراقٌ في التّعابير الغريبة التي تحتاجُ إلى تُفَهُّم وتَطَلُّبٍ، وكلُّ ذلك يُناسِبُ مقصدَهُ العامّ، وهُو وُصُولُ النّفع إلى بيتِ كلّ مسلم، والاهتداء بالقرآن الكريم.

7– لُوحظَ أنَّ الانحرافات والخُرافات والهُمُوم التي كان يُعبّرُ عنهَا الشّيخُ الجزائريُّ في كتاب (المسجد وبيت المسلم) قريبةً ممَّا عَبَّرَ عنهُ في كتابه: (أيسر التّفاسير)، وأنّ بعض الاعتقادَاتِ والأفهامِ الخاطئةِ السّائدةِ قد كَانَت مُبرِّرًا لِكتابة الكِتَابَيْنِ كَمَا في مُقَدِّمَتَيهما.

8– يَرَى البحثُ – مِن خِلالِ مَا قَدَّمَهُ في المبحثِ الثّالث– إمكان استثمارِ المادّةِ التّفسيريّة لدُرُوسِ الشّيخِ الجزائريّ في كتابِهِ، وكذا فكرة الكتاب. فيُمكنُ للدّعاة والمربّين أن يحتذُوا هذه التّجربة التّربويّة، وذلك باختيارِ آياتٍ أُخَر تناسبُ البيئةَ والزّمَانَ، وتُلامِسُ تحدّيات الحياة ومُعطيَات الأُسَر والمجتمَعات، وتوزّع على أيّام السّنة كصنيع الشّيخ أبي بكر الجزائريّ.

9– يمكن لهذا المشروع أن يُطَوَّرَ من خلال استغلال الوسائل الحديثة المتاحة كالقنوات الفضائيّة والمواقع الإلكترونيّة، ويكون جانبًا مَعنيًّا به من التّفسير الهدائيّ التّربويّ عبر الإذاعات الرّسمية وغير الرّسمية، كإذاعة القرآن الكريم مثلًا وإذاعة الصّومام.

10– يمكنُ أن تُجسّدَ فكرة الكتاب ومادّته على مستوى العمل النّسويّ المسجديّ الإرشاديّ اليومَ، في ظلّ رعاية الجهات الوصيّة وإشرافها عليه، وكلُّ ذلك من أجل تعميم النّفع، وتحصيل مُستوى أرقَى في مجالات الإصلاح والتّربية والبناء المجتمعيّ.

وفي الختام أُوصي بمواصلة البحث والتّتبُّع لأعمالِ علماء الجزائر في التّفسير ومُتَعلّقاته، ورَصدِ النّتاج التّفسيريّ للمواضع القُرآنية المتفرّقة، ومحاولة الكشفِ عن مزاياهُ وآثارِهِ العمليّة، والله أعلم.

ملحق بصورِ بعضِ دُرُوس التفسير وشرح الحديث في كتاب (المسجد وبيت المسلم)

الدرس السابع — قول الله تعالى — سابع المحرم

لقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

[الفاتحة ٧]

الشرح:

قوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم تقدم أن الصراط هذا هو الإسلام؛ لأنه طريق من سلكه نجا من النار ودخل الجنة وأضافه إلى من أنعم الله عليهم وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون؛ لأنهم عرفوه وساروا عليه ودعوا الناس إليه. وقوله: غير المغضوب عليهم ولا الضالين أي اهدنا صراط من أنعمت عليهم لا صراط من غضبت عليهم وهم اليهود ولا صراط من ضلوا عن الصراط الحق وهو الإسلام، وهم النصارى إذ ضلوا عن الإسلام ووقعوا في الشرك بالتثليث وبعبادات ما شرعها الله تعالى.

إرشادات للعربي:

١ ـ اقرأ بتأن والمستمعون يقرأونها معك سراً حتى تطمئن إلى أن جلهم قد حفظها ثم رتل السورة كلها عدة مرات واختر بعض المستمعين في حفظها كاملة.
٢ ـ اقرأ الشرح بتأن واشرح لهم ما لم يفهموه بلغتهم الدارجة حتى تطمئن إلى أنهم قد فهموا معنى الآية فهماً صحيحاً.
٣ ـ علمهم أن من أطاع الله والرسول كان من المنعم عليهم لقوله تعالى من سورة النساء ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ الآية.
٤ ـ علمهم أن نعم الله لا تعد ولا تحصى وأن أعظمها أربع وهي: الإيمان ومعرفة الله تعالى ومعرفة محابه ومكارهه والتوفيق لفعل ما يحب كما يحب وترك ما يكره.
٥ ـ علمهم أن المغضوب عليهم سبب غضب الله تعالى عليهم وهو عدم عملهم بما عملوا من محاب الله تعالى ومكارهه وأن الضالين سبب ضلالتهم الجهل بمحاب الله ومكارهه.
٦ ـ علمهم أن طلب العلم الذي هو معرفة الله ومعرفة ما يحب ويكره من الاعتقادات والأعمال والأقوال والصفات والذوات واجب ومن فرط فيه جهل وضل وخسر دنياه وأخراه.
٧ ـ علمهم أن سبب كل ما يشكوه الناس من شر وفساد وظلم وخبث هو الجهل بما يجب أن يعلم.

الدرس السابع عشر — قول الله تعالى — سابع عشر ربيع الأول

قول الله جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُكَفِّرَ عَنكُم سَيِّـَٔاتِكُم وَيُدخِلَكُم جَنَّٰتٖ تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ ﴾

[التحريم ٨]

الشرح:

قوله تعالى: يأيها الذين آمنوا هذا نِدَاءُ اللّهِ جل جلاله لعباده المؤمنين، ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حيٌ يسمع ويبصر ويعقل ولذلك هو قادر على النهوض بما يُكَلَّفُ به من فعل أو ترك، بخلاف الكافر فإنه كالميت لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل عن الله عز وجل لذا لا يُنادى ليكلف حتى يؤمن فيحيى وعندئذ يقوى على النهوض بالتكليف الشريف. وقوله تعالى: توبوا إلى الله هذا الذي ناداهم من أجله وهو أن يتوبوا إليه تعالى أي يرجعوا إليه في كل أمورهم بعد أداء الواجبات والتخلي الكامل عن المنهيات لما في ذلك من سعادتهم وكمالهم في الدارين. وقوله تعالى: توبة نصوحاً أي توبة لا يعاود صاحبها الذنب بحال من الأحوال؛ لأن الذي يقلع عن الذنب ثم يعاوده كمن يغتسل ويتطيب ثم يعود إلى الأوساخ والقاذورات فيلطخ بها. وقوله تعالى: عسى ربكم أن يكفر سيئاتكم، عسى من الله تعالى تفيد التحقيق، فتكفير سيئاتهم وهو عدم مطالبتهم بها أمر متحقق وكذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار أمر ثابت متحقق إذْ هو ثمرة توبتهم النصوح التي غسلتهم من ذنوبهم وأهلتهم للجوار في دار السلام والنعيم.

إرشادات للعربي:

١ ـ اقرأ الآية مجودة ورددها والمستمعون يرددونها سراً حتى يحفظها أكثرهم.
٢ ـ اقرأ الشرح قراءة متأنية جملة جملة شارحاً المعنى ميسراً له حتى يفهموه.
٣ ـ ذكرهم بوجوب التوبة وأنها فورية ومن كل ذنب صغيرة وكبيرة.
٤ ـ علمهم أن مخالفة أمر الله ورسوله تسيء إلى النفس فلذا سميت سيئة وجمعت على سيئات، وإساءتها إلى النفس إصابتها بظلمة وخبث.
٥ ـ ذكرهم بنعيم الجنة وأنهارها التي هي الماء واللبن، والخمر، والعسل كما في قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾.

الدرس الثامن — قول النبي ﷺ — المحرم

قول رسول الله ﷺ: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا.

[في الصحيحين]

الشرح:

قوله ﷺ: لعنة الله على اليهود والنصارى يخبر ﷺ بما جزى الله تعالى اليهود والنصارى وهو بعدهم من رحمته تعالى بسبب اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد. وهو بهذا الإخبار والدعاء عليهم باللعنة أي البعد والطرد من رحمة الله تعالى يحذرنا نحن المسلمين من أن نفعل فتتعرض للعنة. ومع الأسف فقد اتخذ كثير من المسلمين قبور الصالحين مساجد يصلون فيها كأنه لم يبلغهم هذا الحديث وغيره كقوله ﷺ: «لعن[1] الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». إذ لعن المكثرات من النساء لزيارة القبور والمتخذين على القبور المساجد للصلاة فيها والمتخذين عليها السرج أي المصابيح والشموع لإنارتها طوال الليل. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنها ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال: إن أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

إرشادات للعربي:

١ ـ اقرأ الحديث بتأن ورددوه والمستمعون يرددونه معك سراً حتى تطمئن إلى أن جلهم قد حفظوه.
٢ ـ اقرأ الشرح مبيناً لهم ما تضمن الحديث من علم وهداية وهو تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وغيرهم، وأن من فعل ذلك استوجب لعنة الله ورسوله والمؤمنين.
٣ ـ علمهم أن ما فعله ويفعله جهال المسلمين وضلالهم من دفن الأموات في المساجد وبناء المساجد على القبور إنه فعل محرم فلا يحل الرضا به والسكوت عنه.
٤ ـ علمهم إن إنارة أضرحة الصالحين بالشموع وغيرها محرم لا يحل فعله أبداً.
٥ ـ علمهم أن وضع الصور في المساجد أو على القبور محرم لا يحل فعله وأن ما وجد من ذلك يجب إزالته.
٦ ـ علمهم أن علة النهي عن اتخاذ المساجد على القبور هو التحذير من الوقوع في الشرك بالله تعالى الذي هو من أعظم الذنوب.

(١) رواه أبو داود والترمذي.

الدرس الثامن عشر — قول النبي ﷺ — الثامن عشر ربيع الأول

قول ﷺ: أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة.

[رواه مسلم]

الشرح:

قوله ﷺ: أيها الناس هو نداء عام يشمل الذكر والأنثى على حد سواء والمراد بهم المسلمون؛ لأن الكفار يطالبون بالإيمان قبل التوبة من الذنوب والمعاصي. وقوله: توبوا هذا هو الأمر الذي من أجله ناداهم بقوله: يأيها الناس ومعنى توبوا إلى الله: ارجعوا إليه بطاعته التي هي فعل الأوامر وترك المناهي. وقوله ﷺ واستغفروه أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم بمحوها وعدم المؤاخذة بها، والاستغفار يكون بلفظ أستغفر الله، أو اللهم اغفر لي ذنبي والاستغفار لا ينفع مع الإصرار بل لا بد من الإقلاع عن الذنب ولا ثم يطلب المغفرة. أما أن يكون قائماً على الذنب متلبساً به ثم يطلب المغفرة فإنه يكون كالمستهزئ، لذا قيل: المستغفر من ذنبه وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه. وقوله ﷺ فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ذكر هذا الأمر لهم. ليحفزهم على التوبة ويشجعهم عليها وهو واقع كما قال: يتوب إلى الله مائة مرة ويستغفر سبعين مرة. فقد حدث ابن عمر مرة فقال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد قوله: ربِّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة، هذا من كماله ﷺ في معرفة ربه عز وجل، وإلا فهو المعصوم الذي لا يغشى ذنباً ولا يرتكب خطيئة، إلا أنه لمعرفته بعظمة ربه يجد في نفسه الرغبة في التوبة والاستغفار في كل حال، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً.

إرشادات للعربي:

١ ـ اقرأ الحديث وكرر قراءته والمستمعون يرددونه سراً حتى يحفظه أكثرهم.
٢ ـ علمهم أن للتوبة أربعة شروط فلا تصح إلا بها وهي: أولاً: الإقلاع عن الذنب أي ترك المعصية والتخلي عنها، وثانياً: الاستغفار بقول أستغفر الله أو اللهم اغفر لي، وثالثاً: الندم على الذنب الذي تاب منه. ورابعاً: العزم على عدم العودة إلى الذنب مهما كانت الحال، وإن كان الذنب يتعلق بآدمي بأن قذفه أو اغتابه أو أكل ماله أو ضرب جسمه فلا بد من التحلل منه بطلب العفو منه أو دفع ما أخذه منه أو تقديم نفسه إليه ليأخذ ما أخذ منه.
٣ ـ التوبة ملازمة للاستغفار فإذا قال العبد: أتوب إليه معناه أنه استغفره لذا قال ﷺ فإني أتوب في اليوم مائة مرة بمعنى استغفره إذ صح أنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة.
٤ ـ يطلق لفظ اليوم على النهار والليل معاً، فقوله ﷺ في اليوم يريد النهار والليل لا النهار فقط.

مصادر البحث ومراجعه:

❖ المصدر الأساس:

1– المسجد وبيت المسلم، تأليف أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة لينة للنّشر والتّوزيع، دمنهور، ط3 (منقحة)، (1416هـ/ 1996م).

❖ المصادر والمراجع الأخرى:

2– أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير، وبهامشه نهر الخير، تأليف أبي بكر جابر الجزائريّ، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (طبعة خاصّة بمصر وفلسطين والمغرب العربيّ)، ط4 (1412 هـ/ 1992م).

3– تاريخ الجزائر الثّقافي، تأليف الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (1998م).

4– التفسير التربويّ للقرآن الكريم، لأنور الباز، دار النّشر للجامعات، القاهرة– مصر، (د، ط)، (1428 هـ/ 2007م).

5– التّفسير والمفسّرون في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرّابع عشر الهجريّ، للدكتور عبد الكريم بوغزالة، بحث منشور في مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة أحمد دراية– أدرار، مجلد 14، عدد 01 (2015).

6– التّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، لمحمّد رزق طرهوني، دار ابن الجوزيّ للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1(1426 هـ).

7– جريدة البصائر (لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين)، المدير المسؤول ورئيس التّحرير مبارك بن مُحَمَّد الميليّ، صاحب الامتياز مُحَمَّد خير الدّين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1.

8– الخطب المنبريّة، تأليف أبي بكر جابر الجزائريّ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنوّرة، توزيع دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، (ط، د).

9– دروس الإمام ابن باديس في التّفسير في رحلاته إلى المدن الجزائريّة – توثيقًا وتوصيفًا وتحليلاً– للدكتور مراد خنيش، مقال منشور في مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، المجلد 35، العدد: 03، (2021).

10– دروس الشّيخ مبارك بن مُحَمَّد الميليّ في التّفسير في رحلاته إلى المدن الجزائريّة– توثيقًا وتوصيفًا وتحليلاً– للدكتور مراد خنيش، مقال منشور بمجلّة الشّهاب، معهد العلوم الإسلاميّة، جامعة الوادي، مجلد 08، عدد 01 (2022).

11– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السّجستانيّ الأزديّ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 (1418 هـ/ 1997م).

12– صحيح سنن ابن ماجه، تأليف مُحَمَّد ناصر الدين الألبانيّ، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط1 (1417 هـ/ 1997م).

13– صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 (1423 هـ / 2002 م).

14– علماء ومفكّرُون عرفتهم، لمحمّد المجذوب، دار الشواف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط4(1962م).

15– كتاب العلوم الإسلاميّة، السّنة الأولى من التّعليم الثّانويّ – جذع مشترك آداب، جذع مشترك علوم وتكنولوجيا– تحت إشراف الأستاذ موسى صاري، الفريق التّربويّ: د. خالف بوشمة، أ. نصر الدين خالف، أ. سيد علي دعّاس، أ. عيسى ميقاري، الدّيوان الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة (2015– 2016).

16– كتاب العلوم الإسلاميّة، السّنة الثّالثة ثانويّ – جميع الشّعب– إشراف موسى صاري، مفتّش التّربية والتّكوين، إعداد موسى صاري، نصر الدّين خالف، د. خالد بوشمة، فاتح بن عامر، الدّيوان الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة (2013– 2014).

17– مجلّة الشّهاب (مجلّة إسلاميّة جزائريّة شهريّة)، أُنشئت سنة 1343 هـ، تصدر في قسنطينة في كُلّ شهر قمريّ، (دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1.

18– مذكّرة في ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائريّ، إعداد مركز سلف للبحوث والدّراسات(مركز بحثي بإشراف الدكتور مُحَمَّد بن إبراهيم السّعيديّ)، المدينة المنورة، (**salafcenter.org/3021**)

19– معجم أعلام الجزائر(من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت– لبنان، ط2 (1400 هـ/ 1980م).

20– معلّمو المسجد النّبويّ الشّريف، جمعها ورتّبها وعلّق عليها: د.عمر بن حسن فلاتة، أ.عبدالوهاب بن مُحَمَّد زمان، أ.د.عدنان درويش جَلُّون، مكتبة دار الزّمان للنّشر والتّوزيع، ط1 (1437 هـ/ 2016م).

21– المفسّرون الجزائريون عبر القرون (بحثٌ تاريخيّ يعرّف بالعلماء الجزائريّين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجريّ إلى القرن الرّابع عشر) تأليف مُحَمَّد المختار اسكندر، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، (د، ط)، (1991م).

22– ملامح التّفسير التّربويّ للقرآن الكريم، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسريّ، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1 (1425 هـ).